الفصل الرابع

الجملة الاسمية المحولة بالاستبدال

صور الجملة المؤدية وظيفتي المبتدأ والخبر

التحويل بالاستبدال:

تمهيد:

إذا كان من أصول البنوية" التوزيع"، وهو منهج في التحليل اللغوي اتخذته مدرسة "بلومفيلد" يقوم بتوزيع وحدات لغوية بطريقة استبدال وحدة لغوية بأخرى لها السمات التوزيعية نفسها، وإذا كان التحويليون يعتمدون مثل البنويين على مقياس التكافؤ، وهو صلاحية قيام الشيء مقام الشيء (الاستبدال في الاصطلاح اللساني الحديث)، فإن النحاة العرب يبحثون عن مكانة المحول ودروه الذي يؤديه في الجملة التي ينحصر فيها. والاستبدال هو إمكانية إقامة وحدة لغوية أو وحدة إسنادية مقام وحدة لغوية أو جملة أخرى لأن" الشيء المقام مقام الشيء بما أنه وحدة دالة فهما(١) من قبيل واحد تماماً. " والاستبدال باب من أبواب التكافؤ من حيث جمعه كل العناصر التي يمكن أن يستبدل بعضها ببعض في سياق معنى.

والعلائق الاستدلالية هي علائق قياسية(٢) فما يقع في خانة واحدة يأخذ حكماً واحداً وإن تعددت صوره، يقول ابن فارس "من العلوم الجليلة التي اختصت بها العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ"(٣). واللافت للانتباه في هذه المسألة هو أن البنية السطحية والبنية العميقة متكافئتان في اللفظ ولكنهما مفترقتان في المعنى.

والتحويل بالاستبدال يشمل كل الجمل الوظيفية المؤدية وظائف المبتدأ والخبر والفاعل ونائب الفاعل والمفعول به والنعت والحال والمضاف إليه والمستثنى. فهي كلها

استبدلت بمفرد يرتد إلى مصدر أو مشتق.

وقبل أن نقف على صور التحويل بالاستبدال وددنا لو نقف على نموذجين من التراكيب الإسنادية المحولة بهذا النوع، وهما:

١ـ الجملة المحولة عن المصدر:

إذا كان التحويل هو إجراء الشيء على الشيء. وإذا كان بعضهم يرى أن التأويل معناه إرجاع الشيء إلى أصله، فهل يمكن أن نقول إن الجملة الوظيفية المؤلفة من الحرف المصدري وعناصر الإسناد (المصدر المؤول) سميت كذلك لأنها ترجع في أصلها إلى المصدر الصريح؟ والحق إن مثل هذه الجملة (المصدر المؤول) وضعت للدلالة على معنى نحوي يفترق عما يدل عليه المصدر الصريح. فقوله تعالى (وأن تصوموا خير لكم) (البقرة /١٨٤). يلاحظ أن الجملة المضارعية "وأن تصوموا" تفترق في الدلالة عن المصدر المؤولة به " صومكم".

والعجيب أن بعض الباحثين يذهب إلى أن المصدر المؤول يعود إلى المصدر الصريح عوداً تاماً، فيعزب عن شرح معنى التأويل المراد في المصدر المؤول فيقول "أظن أنه من نافلة القول أن أشرح معنى المؤول، فإن الاسم نفسه يشعر بأنه قد تأول إلى مفرد فيقع موقعه الإعرابي". إن مفهوم الدكتور " محمد عيد " للمصدر المؤول غير دقيق لأن فيه تركيزاً على الجانب الموقعي ممثلاً في استبدال هذا المصدر المؤول بالمفرد، ولأنه تصور أنه بذلك قد فهم جوانب التركيب الإسنادي المكون من الحرف المصدري ومدخوله(٤) القائم على مجرد اتضاح تأويل ذلك التركيب بمفرد. ولو أننا وقفنا لفهم المصدر المؤول عند هذه النقطة لكان من اللازم أن يكون بينه وبين المصدر الصريح تطابق تام، وهو ما لا نستطيع التسليم به.

والمصدرالمؤول - فيما نعلم - لم يجد من النحاة من الاهتمام به أكثر من كونه موصولاً حرفياً يدرس غالباً في باب الموصول، كما هي الحال في " كافية ابن الحاجب " التي جاء فيها ما نصه " وحد الموصول الحرفي ما أول مع ما يليه من الجمل بمصدر (٥) كما يجيء في حروف المصدر ولا يحتاج إلى عائد ".

وكما هو واضح فإن هذا التعريف قد اكتفى بوضع قيود تحدد ما يتميز به

الموصول الحرفي عن الموصول الاسمي من علامات، من نحو عدم احتياجه إلى عائد فهو لا يصلح أن يكون حداً يعرف المصدر المؤول بالشكل الذي يطمأن إليه. ولقد كان تعريف المصدر المؤول لا يزال في حاجة إلى تعريف دقيق ولو على سبيل الشكل الإجرائي في أول الأمر كما هي الحال في تعريف المصدر الصريح بأنه " اسم الحدث الجاري على الفعل"(٦).

إن المصدر المؤول (الجملة المؤدية وظيفة نحوية ما بالاستبدال) هو ذلك التركيب الإسنادي المؤلف من أحد الأحرف المصدرية ومدخولاتها من الأفعال والأسماء. و" إن المراد بالاسم الأول بالصريح المصدر المنسبك من الفعل والحرف المصدري سواء أكان الحرف السابك هو "ما" المصدرية (...) أم كان الحرف المصدري هو " أن"(...) أم كان الحرف المصدري هو همزة التسوية بعد لفظ "سواء"(٧) أو الحرف " لو".

ويرى سيبويه أن الجملة الفعلية التي قوامها الحرف المصدري "أَنْ" والفعل ومرفوعه لا يختلف سلوكها النحوي عن الجملة الاسمية التي قوامها الحرف المصدري " أنَّ" ومعموليها من حيث إنهما بمنزلة اسم واحد تستبدلان به لتؤديا وظيفة ما في الجملة المركبة، حيث يقول " باب ما تكون فيه " أَنْ" و" أنَّ" مع صلتها بمنزلة غيرها من الأسماء، وذلك قولك: ما أتاني إلا أنهم قالوا كذا وكذا (...) كأنه قال ما أتاني إلا قولهم كذا وكذا. ومثل قولهم ما منعني إلا أن يغضب علي فلان." وقد لاحظت "موزل" أن سيبويه يصنف أضرباً من الكلم تصنيفاً واحداً وفقاً لخطة في الاستبدال. وتقرر أن تقسيماته لأقسام الكلام من حيث انتسابها إلى باب الاسم مشابهة لطريقة التصنيف عند أتباع منهج التحليل إلى المؤلفات المباشرة(٨). فهو يصنف المصدر المؤول " أن يفعل" أو " أنه يفعل أو أنه فعل " أسماء من جهة أنه يمكن أن يستبدل بها اسم مفرد.

وقد أشار ابن يعيش إلى أن التوكيد المصدري بـ " أن" "يقلب معنى الجملة إلى الإفراد وتصير في مذهب المصدر المؤكد" لأنها تفتقر في انعقادها جملة إلى شيء يكون معها، ويضم إليها. وما بعدها من منصوبها ومرفوعهابمنزلة الاسم الموصول. فلا يكون كلاماً مع الصلة إلا بشيء آخر من خبر أو نحوه. وتأسيساً على ذلك، فإن

المصدر المؤول يخرج من دائرة الجملة. فهو يعد وحدة إسنادية تشكل عنصراً من عناصر الجملة التحويلية المركبة وهو يعامل معاملة الاسم ما دام يصلح أن يكون مسنداً أو مسنداً إليه وسوى ذلك من الوظائف التي يؤديها. ويترتب على هذه النتيجة أن نخالف من يسير على الطريقة الغربية في توزيع أقسام الجملة إلى فرعية وأصلية على نحو ما فعله صاحب كتاب "مدخل إلى دراسة الجملة العربية" حين قوله "من الجمل الفرعية التي تحل محل المفرد من الجمل الأصلية وترتبط بها برابط جملة المصدر المؤول". وإخراج المصدر المؤول من دائرة الجملة راجع إلى ما يتميز به عنها من فروق في الشكل والدلالة.

وعلى الرغم من " أن الناس قد أكثروا في حد الاسم" حدوداً تنظر إلى الشكل أحياناً، وإلى الدلالة أحياناً أخرى فإنه يندر وجود تعريف يجمع الشكل بالدلالة على نحو مافعله صاحب كتاب " النحو الوافي" حين قال " فالمصدر الصريح الأصلي أي غير المؤول وغير الميمي والصناعي هو الاسم الذي يدل في الغالب على الحدث المجرد (...) فأما من ناحية دلاته المعنوية فإنه يدل في الغالب على مجرد الحدث. أي يدل على أمر معنوي محض، لا صلة له بزمان أو مكان، ولا بعلمية ولا بتذكير أو تأنيث، ولا بإفراد أو جمع أو غيره إلا إذا كان دالاً على مرة أو هيئة. وأما من ناحية تكوينه اللفظي فلا بد أن يكون جامداً مشتملاً على جميع حروف فعله الماضي أو أكثر منها. ولا يمكن أن ينقص عنه في الحروف ".

وإذا كان الدكتور " عبد الرحمن أيوب " قد ساوى بين المصدر مؤوله وصريحه حين رأى أنه يصح أن يقع كل منهما مبتدأ أو خبراً، فإن هذا المصدر يمكن" أن يطلق عليه المركب الاسمي".

وهو مجموعة وظائف نحوية ترتبط بعضها ببعض تتمم معنى واحداً يصلح أن يشغل وظيفة نحوية واحدة أو عنصراً واحداً من عناصر الجملة، بحيث إذا أفردت هذه المجموعة وحدها لا تكون جملة مستقلة ". فهو على الرغم من الوظائف النحوية التي يمكن أن يؤديها، شأنه شأن المصدر الصريح، فهو ينهض بعبء دلالة تختلف عن تلك الدلالة التي نجدها في ذلك المصدر الصريح. يؤيد ذلك قول للسهيلي مؤداه "

فإن قيل: فهلا اكتفي بالمصدر واستغني به عن " أن" لأنه أخصر؟ فالجواب أن في دخول " أن" ثلاث فوائد:

إحداها أن الحدث قد يكون فيما مضى، وفيما هو آت. وليس في صيغته ما يدل على المضي أو الاستقبال. فجاءوا بلفظ الفعل المشتق منه مع " أن" ليجتمع لها الاخبار عن الحدث مع الدلالة على الزمان.

الثانية: أن " أن" تدل على إمكان الفعل دون الوجوب أو الاستحالة.

الثالثة: أنها تدل على مجرد معنى الحدث دون احتمال معنى زائد عليه".

٢ـ الجملة المحولة عن المشتق:

والتحويل بالاستبدال يوجب علينا الوقوف عند الجملة الوظيفية التي قوامها الموصول الاسمي وصلته. قال ابن يعيش: "إن الذي" وأخواته مما فيه لام إنما دخل توصلاً إلى وصف المعارف بالجمل. وذلك أن الجمل نكرات، أرادوا أن يكون في المعارف مثل ذلك فلم يسغ أن تقول مررت بزيد أبوه كريم وأنت تريد النعت لزيد لأنه ثبت أن الجمل نكرات، والنكرة لا تكون وصفاً لمعرفة ولم يمكن إدخال " أل" التعريف على الجملة لأن هذه اللام من خواص الأسماء والجملة لا تختص بالأسماء بل تكون اسمية وفعلية فجاءوا حينئذ بالذي متوصلة بها إلى وصف المعارف بالجمل فجعلوا الجملة التي كانت صفة للنكرة صفة للذي وهو الصفة في تمام اللفظ والغرض الجملة" وذكر الزمخشري أن "الذي" وضع وصلةإلى وصف المعارف بالجمل.

ففي قوله تعالى: (واتقوا الله الذي تساءلون به الأرحام) (النساء/١). يطمأن إلى إن التركيب الإسنادي " تساءلون " الذي ذهب " ابن يعيش" إلى أنه جملة جاءت لوصف" الذي "، وهو الصفة في تمام اللفظ والغرض الجملة، يطمأن إلى أن لفظة "الذي " جاءت لتقوم بمهمة تعريف الجملة تتساءلون " لتصبح هي، أي "الذي" وصلتها " تتساءلون " جملة مضارعية وظيفتها وصف اللفظة المعرفة " الله ". وهذا النوع من الجملة تتكون من جزئين: اسم الموصول المبهم، وصلته التي تزيل إبهامه وتكون ببنيتها العميقة "مشتقاً" اسم فاعل، أو اسم مفعول. "لأنه إذا كان مجموع الموصول والصلة جزءاً من المركب يكون الموصول أيضاً جزءاً ولكن لا جزءاً تاماً أولياً إلا

بصلة" (٩) ويقصد بالمركب الجملة المركبة التي تكون الجملة الوظيفية المؤلفة من الموصول وصلة مؤدية وظيفة نحوية مافيها ، كأن تكون واقعة فاعلاً ، أو نائب فاعل، أو مبتدأ ، أو خبراً ، أو نعتاً ، أو مضافاً إليه.

لأن كلاً من الصلة والاسم الموصول بعض من كلمة. فلا يمكن أن يكون الإعراب لصدرها دون عجزها الذي رأوا أنه لا محل له من الإعراب. وأساس ذلك أن " معنى الموصول أن لا يتم بنفسه ويفتقر إلى كلام بعده. ولهذا المعنى من احتياجه إلى جملة بعده توضحه (...) صار كبعض الكلمة. وبعض الكلمة لا يستحق الإعراب، لأنه أشبه الحرف من حيث إنه لا يفيد بنفسه(...) فصار كالحرف الذي لا يدل على معنى في نفسه، إنما معناه في غيره. ولذلك يقول بعضهم إن الموصول وحده لا موضع له من الإعراب" وإنما يكون له موضع من الإعراب إذا تم بصلة". فالموصول الاسمي مع صلته بمثابة شطري اسم فهما كاسم واحد. قال الجرجاني " إنك لا تصل الذي إلا بجملة من الكلام قد سبق من السامع علم بها " (١٠)لأن الصلة هي مبعث الفائدة. فالموصول الاسمي إن هو إلا رابط شأنه شأن الموصول الحرفي. وإذا كان ابن هشام بقوله " وبلغني عن بعضهم أنه كان يلقن أصحابه أن يقولوا: الموصول وصلته في موضع كذا محتجا أنه كالكلمة الواحدة " يعارض أن تكون الوظيفة النحوية لاسم الموصول مع صلته فإن بحثنا هذه سيتعامل مع طرفي هذه المعادلة على أنهما يشكلان وحدة إسنادية وظيفية تنهض بوظائف متنوعة.

صور المبتدأ المحول بالاستبدال في الجملة الاسمية:

وفيه سنتناول المبتدأ المحول عن جملة والمبتدأ المحول عن وصف، والخبر المحول عن جملة، سواء أكانت هذه الجملة ماضوية أم مضارعية أم اسمية، وسواء أكانت هذه الجملة مشتملة على رابط أم مجردة من الرابط.

١ ـ التحويل بالاستبدال في الجملة الاسمية البسيطة:

وفيه سنتناول تحويل المبتدأ الوصف المحول عن فعل مضارع. ونبدأ بهذا النوع من التحويل لأنه يخص الجملة الاسمية البسيطة.

المبتدأ الوصف:

هناك مبتدأ لا يحتاج إلى خبر، وإنما يحتاج إلى فاعل أو نائب فاعل يسد مسد الخبر. ويسمى هذا المبتدأ وصفا. ويشمل اسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغ المبالغة، واسم التفضيل، والصفة المشبهة.

وسمي وصفاً لأنه يتصف بصفات فعله. فإذا كان فعله لازماً اكتفى بالفاعل. وإذا كان فعله متعدياً تطلب مفعولاً به أو أكثر بحسب فعله. أي أنه إذا كان من فعل متعد إلى مفعولين لم يتم المعنى إلا بوجود المفعولين.

ويرى البصريون أن هذا النوع من المبتدأ ينبغي أن يكون مسبوقاً إما بحرف نفي ممثلاً في "ما" النافية، أو بحرف استفهام ممثلا في الهمزة أو "هل". ونمثل لهذا المبتدأ الوصف بالأمثلة الآتية:

١ ـ بالنسبة إلى الوصف الوارد اسم فاعل:

أ ـ هل ناجح المجتهد؟

ب ـ ما غائب الطالب.

٢ ـ بالنسبة إلى الوصف الوارد اسم مفعول:

أ ـ أمفهوم الدرس؟

ب ـ ما مكرم البخيل.

٣ ـ بالنسبة إلى الوصف الوارد صيغة مبالغة:

أ ـ هل فتّان المسلم؟

ب ـ ما كذّاب المؤمن.

٤ ـ بالنسبة إلى الصفة المشبهة:

أ ـ هل أصغر علي سناً من محمد؟

ب ـ ما أفضل العربي على العجمي.

٥ ـ بالنسبة إلى اسم التفضيل:

أ ـ أجميل الصبر؟

ب ـ ما قبيح المنظر.

obeikandi.com

وهذه الجمل التي في ظاهرها جمل اسمية هي في حقيقتها جمل فعلية، جاء المبتدأ الوصف فيها محولاً عن فعل مضارع، .إذ إن الوصف فيها في بنيته العميقة هو فعل مضارع.فجملة " هل ناجح المجتهد "؟ بنيتها العميقة "هل ينجح المجتهد"؟.

وجاء محولاً عن فعل مضارع لأن الفعل المضارع يضارع اسم الفاعل ويماثله في حركاته وسكناته، واسم الفاعل هو الوصف الذي جاء اسم المفعول وصيغ المبالغة والصفة المشبهة واسم التفضيل جارية عليه.

والاسم المرفوع بعد الوصف يعرب فاعلاً أو نائب فاعل للوصف.

وللوصف الذي تبدأ به مثل هذه الجمل أربعة إعرابات:

١ – إذا تطابق الوصف مع مرفوعه في الإفراد (أي إذا جاء الوصف مع مرفوعه مفردين) كان للجملة الاسمية إعرابان:

أ – أن يعرب الوصف مبتدأ وصفاً، والاسم المرفوع بعده فاعلاً أو نائب فاعل له. وهذا هو الإعراب الأجود. نحو: هل ناجح الطالب؟ و"ما مظلوم الطالب".

ب ـ أن يعرب الوصف خبراً مقدماً والاسم المرفوع بعده مبتدأ مؤخراً.

٢ ـ إذا تطابق الوصف مع مرفوعه في التثنية والجمع (أي إذا جاء الوصف ومرفوعه كلاهما مثنى أو جمعاً) فللجملة إعراب واحد، وهو أن يعرب الوصف خبراً مقدماً ، والاسم المرفوع بعده مبتدأ مؤخراً. نحو: هل ناجحون الطلاب؟ ما غائبتان المجتهدتان. إذ لا يجوز أن نعرب الوصف " ناجحون " و" غائبتان " مبتدأ وصفاً. فهما مسندان "خبران". أما المسند إليه (المبتدأ) فهو "الطلاب، المجتهدتان".

٣ ـ إذا لم يتطابق الوصف مع مرفوعه، وجاء المبتدأ الوصف مفرداً، والاسم المرفوع بعده مثنى أو جمعاً فللجملة إعراب واحد، وهو أن يعرب الوصف مبتدأ وصفاً، والمرفوع بعده فاعلاً له أو نائب فاعل، نحو: ما ناجح الكسلاء، هل مفهوم السؤالان؟ حيث لا يجوز أن يعرب الاسمان "ناجح"، "مفهوم" خبرين مقدمين.

واللافت للانتباه هو أن الكوفيين يجيزون أن تكون الجملة المبدوءة بوصف بدون نفي أو استفهام سندهم في ذلك قول الشاعر:

خبير بنو لهب فلا تك ملغياً مقالة لهبي إذا الطير مرت

ملاحظة: في الآية الكريمة: (أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم).

يعرب الوصف " راغب " خبراً مقدماً والضمير " أنت " مبتدأ مؤخراً. وهذا هو الإعراب الأجود والمسوغ الذي جعل الخبر يتقدم هو أنه لو لم يتقدم لتوالت في هذه الآية همزتان وصارت الجملة " أأنت راغب " وهو مستثقل.

٢- التحويل بالاستبدال في الجملة الاسمية المركبة:

سبقت الإشارة إلى أن الجملة المركبة هي تركيب إسنادي له شكله اللغوي العام. وهذا التركيب له أجزاؤه ومكوناته. وهذه المكونات قد تكون جزئيات في صورة كلمات مفردة، وقد تكون جملة تمثل جزءاً بعد تركيبها في الشكل العام للجملة المركبة.

ونلفت الانتباه إلى أن النحاة العرب كانوا يعدون الجمل التي لها محل من الإعراب سبعاً. ومنهم من يصل بها إلى أكثر. إذ نجدهم يذهبون إلى أن الأصل فيها أن تحل محل المفرد. لكن المتأمل في التراكيب الإسنادية التي اصطلحوا على تسميتها " بالجمل التي لها محل من الإعراب " يلاحظ أنها تحل محل المفرد. يعزز ذلك قول لابن يعيش فحواه: " اعلم أن كل جملة وقعت صفة فهي واقعة موقع المفرد ولها موضع ذلك المفرد من الإعراب.

فإذا قلت مررت برجل يضرب. فقولك "يضرب" في موقع ضارب فإذا استقل المعنى بالاسم المفرد ثم وقعت الجملة موقعه فالاسم المفرد هو الأصل والجملة فرع عليه"(١١). فهذا التركيب الإسنادي "يضرب" المؤدي وظيفة النعت ليس بجملة، لأنه يحل محل المفرد من جهة، ولأنه لا يستقل بالمعنى من جهة ثانية. فهو في حقيقته وحدة إسنادية وظيفية. يستفاد من قول ابن يعيش هذا أنها تحمل على المفرد وتجري مجراه.

"والذي يدل على أن المفرد أصل والجملة فرع عليه أن المفرد بسيط والجملة مركب والبسيط أول والمركب ثان". ثم إن الإعراب الذي يعد أهم قرائن المعنى النحوي يعرف من أحد وجهيه هو المعاقبة "التي يقصد بها صلاحية إحلال عنصر لغوي محل عنصر لغوي آخر، سواء أكان أحد العنصرين أم كلاهما مفرداً وأساس

ذلك أن المحل الإعرابي إنما يكون للمفرد الذي يظهر عليه - إذا كان معرباً غير مختوم بحرف علة - الرفع أو النصب أو الجر أو الجزم. وستكون الجملة محمولة عليه في ذلك. وإذا كان من النحاة من اشترطوا في الجملة التي لها وظيفة إعرابية صحة تأويلها بمفرد من لفظها ظناً منهم أن المفرد هو الأصل في الحلول في تلك المواقع التي يكون للجملة فيها محل من الإعراب، فإننا نرى أن اشتراط تأويل الجملة بمفرد إن هو إلا تكلف لا مسوغ له، وطمس للفرق الدلالي الذي بين الجملة والمفرد المؤولة به، حيث إنه يسجل أن ثمة فرقاً لا بد منه بين تلك الجملة والمفرد الذي تقع موقعه. إذ إنه لولا ذلك الفرق ماكان" ثمة حاجة" تدعو إلى الإتيان بهذه الوحدة الإسنادية. ولقد أسفر عن وجه هذه الحقيقة إمام البلاغيين "عبد القاهر" بقوله: "ولا ينبغي أن يغرك أنا إذا تكلمنا في مسائل المبتدأ والخبر قدرنا الفعل في هذا النحو تقدير الاسم كما نقول في (زيد يقوم): إنه في موضع: (زيد قائم) فإن ذلك لا يقتضي أن يستوي المعنى فيهما استواء لا يكون من بعده افتراق. فإنهما لو استويا هذا الاستواء لم يكن أحدهما فعلاً الآخر اسماً بل كان ينبغي أن يكونا جميعاً فعلين أو يكونا اسمين". ذلك لأن الخبر الوارد اسماً مفرداً (قائم) في جملة "زيد قائم" هو إخبار عن ثبات زيد على حالة القيام. والخبر الوارد "جملة فعلية بسيطة" "يقوم" في الجملة المركبة "زيد يقوم" هو إخبار عن إفادة نسبه القيام في الزمن الحاضر أو المستقبل لزيد. فالقيام متجدد، وهو لأجل تقوية الحكم. وبيان ذلك أن المبتدأ يستدعي أن يسند إليه شيء فإذا جاء بعده ما يصلح أن يسند إليه صرفه المبتدأ إلى نفسه فثبت له. ثم إذا كان متضمناً لضمير المبتدأ صرفه ذلك الضمير إلى المبتدأ. ثم إن الحكم يكتسي قوة لتكرار الإسناد سواء أكانت الجملة الفعلية الواقعة خبراً مثبتة أم منفية.

ومثال الإثبات قوله تعالى: (الرحمن علم القرآن)(الرحمن /١١)، ومثاله في النفي قوله تعالى: (والله لا يخلف الميعاد)(الرعد/ ٣١). فتعليم القرآن المحكوم بإثباته إلى الله في الآية الأولى، وإخلاف الميعاد المحكوم بنفيه عن الله في الآية الثانية يطلبه كل من المبتدأ وضميره. وفي هذا تكرار لإسناد الفعل المذكور. وذلك مدار التقوية. وإذا كان مدار الأمر في دراسة الجملة يجب أن يكون منصباً على المعنى، فإننا مع

ذلك نسجل أن محاولة تأويل هذه الجملة بالمفرد يعد وسيلة تفسيرية لمبنى ووظيفة هذه الجملة التي لا شك أنها تشترك في بنيتها السطحية مع بنيتها العميقة(المفرد) في بعض جوانب الدلالة أيضاً. ثم إن لهذا التأويل جانباً تعليمياً لا ينكر، وبخاصة إذا علمنا أن هذا البحث قد قطع على نفسه ضرورة تحقيق الكفاية الوصفية والتفسيرية للجمل.

ونؤكد على أن هذا التأويل إن لم يكن بد منه، فإنه ينبغي أن لا يصرف نظرنا عن الغرض الأساسي لهذه الجمل المتمثل في إبانتها عن معانيها الوظيفية التي تؤديها في الجمل المركبة. وقد قرر ابن هشام أن أول واجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه مفرداً أو مركباً.

١ـ الجملة المؤدية وظيفة المبتدأ:

المبتدأ هو الركن الأول في الجملة الاسمية. وهو موضوع الكلام المتحدث عنه. ويعرفه سيبويه بقوله: "المبتدأ كل اسم ابتدئ ليبنى عليه كلام ". وقد يكون بمنزلة الاسم فيكون "وحدة إسنادية ".

ولما كان يشترط في المبتدأ الاسم التجرد من العوامل اللفظية للإسناد" لأن المبتدأ كل اسم ابتدأته وعريته من العوامل اللفظية"، فإن الجملة المؤدية وظيفة المبتدأ يشترط فيها أن تتجرد عن هذه العوامل اللفظية " لأن المبتدأ هو الاسم أو ما هو في تقديره المجعول أول الكلام لفظاً أو نية على الوصف المتقدم ". وتجدر الإشارة إلى أن للجملة التي تؤدي وظيفة المبتدأ ضربين: جملة فعلية، وجملة اسمية.

أ- صور الجملة الفعلية:

١- صور الجملة الماضوية:

أ- صور الجملة الماضوية البسيطة المثبتة:

الصورة الأولى:

ونجد نموذجا لها في الآية الكريمة: (سواءعليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) (الأعراف/١٩٣). حيث إن الجملة الاسمية المركبة المحتواة في هذه الآية مركبة من مسند" خبر" مقدم هو "سواء" ومن جملة ماضوية بسيطة هي "أدعوتموهم". والبنية السطحية لهذه الجملة تتكون من همزة استفهام + فعل ماض مبني على السكون

"دعوا "+ فاعل (ضمير الرفع المتصل " تم ")+ مفعول به (الضمير المتصل "هم"). يلاحظ أنها جاءت لتؤدي وظيفة المبتدأ في هذه الجملة المركبة. والبنية العميقة لهذه الجملة الواقعة مبتدأ مؤخراً هي " دعاؤكم". ولقد صرح " الفراء " بجواز وقوع ما اصطلح على تسميته بالجملة في بحثنا هذا مبتدأ. قائلاً عن هذه الآية الكريمة: " فيه شيء يرفع (سواء عليكم) لا يظهر مع الاستفهام. ولو قلت: " سواء عليكم صمتكم ودعاؤكم تبين الرفع الذي في الجملة ". فالبنية العميقة لهذه الجملة الاسمية المركبة هي " دعاؤكم إياهم وصمتكم عليكم سواء". وإذا كان ابن هشام يعلل وقوع مثل هذه الجملة مبتدأ لأنها في تأويل المصدر في المعنى وإن لم يكن معها حرف مصدري سابك، فإن بعضهم قد عد همزة التسوية من أدوات السبك وهمزة التسوية هي تلك التي تقع بعد كلمة "سواء ". تليها صلتها المشتملة على لفظة " أم". والذي يطمأن إليه هو أن هذه الوحدة الإسنادية الفعلية مسبوكة بهمزة التسوية.

الصورة الثانية:

وفيها يكون فعل هذه الجملة الماضوية لازماً غير مقترن بالحرف السابك. ونقف على نموذج لذلك في قوله تعالى: (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق)(التوبة / ١٠١). ذلك أن الجملة الفعلية "مردوا" المؤلفة من الفعل الماضي "مرد" المتصل به واو الجماعة "الفاعل" تقوم مقام المسند إليه "المبتدأ". وبنيتها العميقة " ماردون".

الصورة الثالثة:

ونقف عليها في قوله عز وجل: (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا)(الحشر/٣). حيث إن التركيب الإسنادي " أن كتب الله عليهم الجلاء" يعد وحدة إسنادية ماضوية مؤدية وظيفة المبتدأ الذي خبره محذوف. يؤيد ذلك قول لسيبويه مفاده" هذا باب من الابتداء مضمر فيه ما يبنى على الابتداء" أي يقدر فيه الخبر فلا يظهر. والبنية العميقة للخبر المحذوف هي موجود. لوقوعه كوناً عاماً. ولوجود " لولا" الامتناعية قبل المسند إليه(المبتدأ).

"وحذفه في الكلام إنما لكثرة استعمالهم"أي العرب" والبنية العميقة لهذه الجملة الماضوية هي"كتابة الله الجلاء عليهم".

الصورة الرابعة:

وتستوقفنا عندها الآية الكريمة (ومن آياته أن خلقكم من تراب)(الروم/٢٠) إذ إن الجملة الماضوية البسيطة "أن خلقكم" مؤدية وظيفة المبتدأ المؤخر. وبنيتها العميقة " خلقكم".

الصورة الخامسة:

ونقف عليها في قوله تعالى: (والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم)(الحشر/٩). حيث إن التركيب الإسنادي " الذين تبوأوا الدار والإيمان" المكون من اسم الموصول " الذين" والفعل الماضي " تبوأ"، وواو الجماعة "الفاعل" والمفعول به " الدار" والاسم المعطوف عليه بالواو " الإيمان" يعد جملة ماضوية بسيطة جاءت لتؤدي وظيفة المسند إليه "المبتدأ". بنيتها العميقة هي " المتبوئون الدار والإيمان. والذي جعلنا نطمئن إلى أن اسم الموصول مع ما يطلق عليه صلة الموصول يكونان معا جملة متماسكة ذات وظيفة معينة هو أن اسم الموصول في عرف النحاة محتاج إلى صلته لأنه مبهم في أصل وضعه، فتأتي هذه الصلة لتعين مدلوله، وتفصل مجمله، وتجعله واضح المعنى.

أي أن المعنى المتوصل إليه " المتبوئون الدار والإيمان" كان بالجملة المؤلفة من اسم الموصول وصلته اللذَين يرى سيبويه أنهما بمنزلة اسم واحد. حيث يتسنى لهما معاً تكوين جملة أو ركن إسنادي بتعبير" ميشال زكريا"(١٢). وأساس ذلك أن الاسم الموصول جزء من الصلة لاينفصل عنها يعزز ذلك قول لسيبويه فحواه: " الذي وصلته بمنزلة اسم واحد. فإذا قلت هو الذي فعل كأنك قلت هو الفاعل" ثم إنه مثل ما يؤول الموصول الحرفي مع ما دخل عليه نرى أن الموصول الاسمي ينبغي أن يؤول مع صلته. وقد جاء المبتدأ في هذه الجملة المركبة جملة موصولة للإشارة إلى نوع الخبر المحكوم عليه. إذ يتفطن المخاطب من فاتحة الكلام التي يومئ فيها مدلول صلة الموصول" تبوأوا الدار والإيمان" إلى ما تدل عليه خاتمته. وبذلك يكون خبر مثل هذه الجملة بمثابة التأكيد على ما أشير إليه أول الكلام.

الصورة السادسة:

وفيها سنجد أن مثل هذه الجملة الماضوية البسيطة واردة بعد " إذا" الفجائية في نحو قوله تعالى: (فأصبح في المدينة خائفا يترقب. فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) (القصص/١٨). حيث إن الجملة الماضوية "الذي استنصره" مؤدية وظيفة المبتدإ. بنيتها العميقة "المستنصره".

الصورة السابعة:

وفيها يسجل أن الفعل الماضي في مثل هذه الجملة مبني لما لم يسم فاعله ونقف على ذلك في قوله تعالى: (فإن تولوا فإنما عليه ما حُمِّل وعليكم ما حملتم)(النور /٥٤).فالجملة الاسميةالمركبة التي لجواب الشرط" فإنما عليه ما حمل" المؤكدة بالقصر المتوسل إليه بالأداة إنما يلاحظ أن خبرها "عليه" قد تقدم على مبتدئها "ما حمل" الوارد جملة ماضوية، فعلها الماضي "حُمِّل" مبني لما لم يسم فاعله. وبنيتها العميقة "مُحَمَّله".

ب - صور الجملة الماضوية المنفية:

الصورة الأولى:

وفيها يلاحظ أن مثل هذه الجملة الماضوية منفية. وشاهدها قوله تعالى: (فما الذين فضلوا برادي رزقهم)(النحل/٧١). إذ إن الجملة الماضوية المنفية "فما الذين فضلوا" مؤدية وظيفة المبتدأ. وبنيتها العميقة "فما المفضلون".

جـ . صور الجملة الماضوية المؤكدة:

الصورة الأولى:

وفيها سنجد أن هذه الجملة الماضوية مقترنة بلام الابتداء. ففي قوله تعالى: (ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور)(الشورى/٤٣). نلاحظ أن الوحدة الإسنادية الماضوية "ولمن صبر" المؤلفة من لام الابتداء المفيدة التوكيد، واسم الشرط، وفعل الشرط الماضي صبر، وفاعله المضمر الذي لا ينفك عنه "هو" وظيفتها مبتدأ. بنيتها العميقة "للصبر".

٢ . صور الجملة الماضوية المركبة:

الصورة الأولى:

و نمثل لها بقول الله تعالى: (والذي قال لوالديه أف لكما) (الأحقاف / ١٧). إذ إن الجملة الماضوية المركبة " الذي قال لوالديه أف " المؤلفة من اسم الموصول "الذي" والفعل الماضي "قال"، وفاعله المضمر الذي لا يخلو منه " هو "، والجار والمجرور "لوالديه" المتصل بهما المضاف إليه المتمثل في الضمير " هـ "، والمفعول به " أف " الوارد جملة مضارعية بسيطة وظيفة هذه الجملة الماضوية المركبة مبتدأ. بنيتها العميقة "القائل لوالديه أف أي أتضجر ".

أ . صور الجملة المضارعية:

١ . صور الجملة المضارعية البسيطة المثبتة:

الصورة الأولى:

ونقف على مثال لها في قوله تعالى: (وأن تعفوا أقرب للتقوى)(البقرة /٢٣٧). ذلك أن هذه الآية تشتمل على جملة اسمية مركبة، جاء المسند إليه فيها (المبتدأ) جملة فعلية بسيطة هي " أن تعفوا " مؤلفة من فعل مضارع منصوب بالحرف المصدري "أن"، وفاعل متمثل في واو الجماعة. فالصورة النحوية لهذه الجملة الوظيفية هي: "أن" الحرف الناصب + " تعف" الفعل المضارع المنصوب+ "واو الجماعة" الذي هو فاعل. وهذه الصورة تمثل البنية السطحية لهذا التركيب الإسنادي. أما البنية العميقة التي توجه التحليل النحوي أو النموذج المجرد أو المعيار أو الأصل. أو التقدير لهذه البنية السطحية الظاهرة هي "عفوكم" لأن " أن" والفعل بمنزلة مصدر فعله الذي تنصبه "؛ أي أن الحرف "أن " والفعل المضارع المنصوب بعده هو جملة فعلية في موضع مصدر وقع مرفوعاً بالابتداء. لأنها في عمقها مصدر مفرد. ذلك أن " أن يفعل" تصنف اسماً من جهة أنه يمكن أن يستبدل بها اسم مفرد. ويلاحظ أن وظيفتها في هذه الجملة الاسمية المركبة هي المبتدأ.

ولم يتم التعبير بلفظ "العفو " أو "عفوكم " لأن هذه الجملة الفعلية " أن تعفوا " تضيف معنى آخر آيتا من صيغة الفعل المضارع المسند إلى واو الجماعة ، إذ تفيد

التجدد والحدوث والتكرار والمداومة. وأساس ذلك أن الفعل المضارع أقرب إلى الاسم(١٣) لما فيه من معنى الاستمرار وبخاصة حين اقتران هذا المضارع بحرف مصدري. يمحضه للاستقبال بعد أن كان يحتمل الحال والاستقبال(١٤).

ذلك أن هذا الحرف يزيد الفعل قرباً من الاسم من حيث الدلالة تلك على خلاف ما لو قيل: (عفوكم خير لكم). انطلاقاً من أن المصدر الصريح أي الاسم موضوع "على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء. وأما الفعل فموضوع على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء ". ومنه فإن الصيغة الفعلية للجملة المؤدية وظيفة المبتدأ إنما يلجأ إليها حين يعجز المصدر الصريح عن الدلالة على هذه المعاني الإضافية المتمثلة في مزاولة حدث ما، ومعالجة وترك حدث آخر وإهماله. وهذا يؤكد أن البنية السطحية تشترك مع البنية العميقة في إمداد الجملة بدلا لتها ليكون "التحويل " (١٥) في العربية ليس وسيلة تفسيرية لبنية الجملة فحسب، ولكنه مكون مهم من مكونات دلالة الجملة.

الصورة الثانية:

و نأخذ الجملة الواردة في الآية الآتية مثالاً لها (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره)(الروم/٢٤). وهي "أن تقوم السماء والأرض" التي هي جملة فعلية بسيطة مؤلفة من الحرف المصدري "أن"، والفعل المضارع المنصوب "تقوم"، والفاعل "السماء"، والمعطوف عليه "الأرض". والبنية الباطنية لهذه الجملة هي "قيام السماء والأرض".

وبذلك تكون البنية العميقة للجملة الاسمية المركبة في هذه الآية هي "ومن آياته قيام السماء والأرض". حيث يلاحظ أن هذه الجملة قد أدت وظيفة المبتدأ الذي تقدم عليه خبره "من آياته ".

وقد لاحظنا أن " أن" قامت بوظيفة الربط، أي الوصل وتعليق الجملة الواقعة بعدها بالمسند الرئيس قبلها. والداعي الذي سوغ مجيء المبتدأ جملة مضارعية يتمثل في إظهار حدث القيام في أجلى صورة وأبينها، وأعلقها بالمعهود؛ إذ ليس هناك ما هو أصلح من الفعل المضارع لتحقيق هذا الغرض وبخاصة حين اقترانه بالحرف المصدري "أن" الذي يجعله أقرب من اسم الفاعل الدال على التجدد والاستمرار.

الصورة الثالثة:

وفيها نقف على جملة مؤدية وظيفة المبتدأ (المسند إليه) غير مقترنة بسابك.

ونجدها في الآية الكريمة: (و من آياته يريكم البرق)(الروم/٢٣). وهي "يريكم البرق" المؤلفة من الفعل المضارع" يري" المتعدي إلى مفعولين هما "الضمير المتصل" (كم) و(البرق)، التي يسجل أنها جاءت مجردة من الحرف المصدري. وبنيتها العميقة هي "إراءتكم البرق".

وقد جاء خبر هذه الجملة المضارعية جاراً ومجروراً " من آياته" متقدماً عليها دفعاً للبس بالتنبيه على أن المتقدم (الجار والمجرور) خبر. فعلى الرغم من أن رتبة المبتدأ التقدم، فإن الخليل وسيبويه قد ذكرا أن هذه الرتبة غير محفوظة. فيتقدم الخبر ويتأخر المبتدأ.

ورأى " الفراء " في هذه الجملة " يريكم البرق " أن من أظهر " أن" التي رأى بعضهم أنهما محذوفة قياساً على المثل " تسمع بالمعيدي خير من أن تراه -" يقول ابن هشام " تسمع على إضمار أن. والمعنى أن تسمع، والذي حسن حذف أن الأولى ثبوت أن الثانية ". والبنية العميقة لهذا المثل هي "سماعك به خير من رؤيتك له"- فإن الجملة المذكورة هي في موضع اسم مرفوع أي مبتدأ. ورأى أنه في حال إضمار هذا الحرف المصدري " أن" فإن التركيب الإسنادي لهذه الآية إن هو إلا جملة فعلية حيث قال: "وإن شئت: يريكم من آياته البرق فلا تضمر أن ولا غيره " لكن المتتبع لسياق هذه الآية التي وردت فيها هذه الجملة ضمن الجملة الاسمية يلاحظ أن كل الآيات الواردة قبلها أو بعدها. جملها المبدوءة بها اسمية، قال تعالى:

(ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون. ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون. ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين. ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون. ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون، ومن آياته أن

تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون)(الروم ٢٠ ـ٢٥). حيث إن الآية: (ومن آياته أن خلقكم) والآية: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا). جاء المبتدأ فيهما وحدة إسنادية ماضوية. والآية: (ومن آياته خلق السماوات والأرض)، والآية: (ومن آياته منامكم بالليل والنهار) قد جاء المبتدأ فيهما مصدراً صريحاً " خلق، منامكم "، والآية الأخيرة: (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض). قد ورد المبتدأ فيها جملة مضارعية" أن تقوم السماء والأرض".

وهذه الآيات يلاحظ أن جملها الاسمية كلها معطوفة على بعضها البعض مما يجعلنا نستأنس لاسمية التركيب الإسنادي لهذه الآية الكريمة المؤدية فيها الجملة الفعلية" يريكم البرق "المضمر حرفها " أن" وظيفة المبتدأ لأن البنية العميقة للجملة المشتملة على الحرف السابك ظاهراً أو مقدراً هي مصدر، بينما التي تفتقر إلى هذا الحرف فبنيتها مشتق.

الصورة الرابعة:

وفيها نجد أن الرابط هو الموصول الاسمي. وتستوقفنا على ذلك الآية الكريمة: (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم)(الأعراف/١٩٧). ذلك أن الجملة المضارعية "الذين تدعون من دونه" مؤدية وظيفة المبتدأ. وبنيتها العميقة "الداعين من دونه".

الصورة الخامسة:

وفيها يسجل أن الجملة الاسمية المركبة المتضمنة هذه الجملة المضارعية محولة بتقديم خبرها. وشاهدها قوله تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً) (البقرة/١٦٥). حيث إن الجملة "من يتخذ من دون الله أنداداً" المكونة من الموصول الاسمي "من" والفعل المضارع المرفوع "يتخذ"، والفاعل المضمر "هو"، والجار والمجرور "من دون"، والمضاف إليه "الله"، والمفعول به "أنداداً" قد أدت وظيفة المسند إليه(المبتدأ). والبنية العميقة لهذه الجملة هي " المتخذ أنداداً من دون الله" ليكون التركيب الباطني للجملة الاسمية المركبة في هذه الآية هو "ومن الناس المتخذ من دون الله أنداداً". ويلاحظ أن هذه الجملة المضارعية المتقدم عليها خبرها قد جاء

التركيب الإسنادي فيها ليفيد اختصاص الاتخاذ من دون الله أنداداً لبعض الناس.

الصورة السادسة:

وفيها تكون هذه الجملة المضارعية واقعة بعد " إذا" الفجائية. ونقف على مثال لها في قوله تعالى: (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)(فصلت/٣٤). فالجملة المضارعية البسيطة " الذي بينك وبينه عداوة" مؤدية وظيفة المبتدأ. وبنيتها العميقة " الموجود بينك وبينه عداوة ".

٢ . صور الجملة المضارعية البسيطة المنفية:

الصورة الأولى:

ونقف عليها في الآية الكريمة: (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) (النحل/٢٢). ذلك أن الجملة المضارعية المنفية " فالذين لا يؤمنون" مؤدية وظيفة المبتدأ. وبنيتها العميقة " ففير المؤمنين".

الصورة الثانية:

وفيها سنجد أن الجملة الاسمية المركبة المشتملة على مثل هذه الجملة المضارعية محولة بالتقديم. ونأخذ الآية الكريمة الآتية مثالا لها: (ومنهم من لا يؤمن)(يونس/٤٠). إذ إن الجملة المضارعية المنفية " من لا يؤمن" مؤدية وظيفة المبتدأ، الذي خبره " منهم" المحول بالتقديم.

الصورة الثالثة:

ونقف على نموذج لها في قوله تعالى: (وما عليك ألا يزَّكَّى)(عبس/٧). حيث إن الجملة المضارعية "ألا يزكى" التي كان حقها أن تكون "أن لا يتزكى" أدت وظيفة المبتدأ. وبنيتها العميقة "عدم تزكيته".

٣ . صور الجملة المضارعية المركبة:

صورتها:

ونقف عليها في قوله تعالى: (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة) (البقرة /٢٠٠). إذ إن الجملة المضارعية "من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة" المركبة مؤدية وظيفة المبتدأ الوارد خبره "منهم" متقدماً عليه. وبنيتها العميقة "القائل ربنا آتنا في

الدنيا حسنة".

٢- صور الجملة الاسمية:

أ- صور الجملة الاسمية البسيطة المنسوخة:

الصورة الأولى:

ونقف عليها في قوله تعالى: (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً)(السجدة/١٨). فالجملة الاسمية المنسوخة " من كان مؤمناً" مؤدية وظيفة المبتدأ. وبنيتها العميقة " الكائن مؤمناً ".

الصورة الثانية:

ومثل ما تكون الجملة الفعلية الواقعة بعد "لولا" محذوفة الخبر تكون الجملة الاسمية المنسوخة بعد "لولا" محذوفة الخبر أيضاً. وسنقف على صورة هذه الجملة في قوله تعالى: (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة)(الزخرف/٣٣). حيث إن الوحدة الإسنادية الاسمية المنسوخة البسيطة "أن يكون الناس أمة" المؤلفة من الحرف السابك الناصب "أن"، والفعل المضارع الناقص "يكون"، واسمه "الناس"، وخبره "أمة" قد أدت وظيفة المبتدأ الذي بنيته العميقة "كون الناس أمة". والذي سجل حذف خبره وجوباً.

ب- صور الجملة الاسمية المنسوخة المركبة:

الصورة الأولى:

وشاهدها قوله تعالى: (وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون)(الشعراء/٩٢). إذ إن الجملة الاسمية المركبة في هذه الآية المحولة لكون المبتدأ فيها "ما كنتم تعبدون" جاء متأخراً وقد ورد جملة اسمية منسوخة مركبة. بنيتها العميقة "الكائنون عابديه"

الصورة الثانية:

وفيها تكون هذه الجملة مؤكدة. ونجد مثالا لها في قوله تعالى: (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة)(فصلت/٣٨). ذلك أن التركيب الإسنادي "أنك ترى الأرض" المؤلف من " أن" واسمها الضمير المتصل" ك"، والجملة المضارعية " ترى الأرض" المؤدية وظيفة خبر " إن" هي جملة اسمية مركبة وظيفتها مبتدأ، خبره الجار والمجرور "من آياته" المقدم عليه.

وتقديم الخبر لأنه مركز الاهتمام والعناية. والبنية العميقة لهذه الجملة هي "تأكيد رؤيتك الأرض". ولم نجار فيه كتب النحو القديمة التي تجعل تقدير مثل هذا التركيب "رؤيتك الأرض". والذي جعلنا نطمئن إلى هذا التقدير هو أنه من شأنه أن يجعل البنية السطحية لا تبتعد كثيرا في دلالتها عن البنية العميقة.

الصورة الثالثة:

وسنجد أنها واقعة بعد "لولا" ومن ثم فهي محذوفة الخبر. ونقف عليها في الآية الكريمة: (فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون)(الصافات/ ١٤٣، ١٤٤). إذ إن الوحدة الإسنادية الاسمية المركبة المنسوخة "أنه كان من المسبحين" المؤلفة من "أن" واسمها الضمير المتصل(هـ) وخبرها "كان من المسبحين" جملة اسمية منسوخة وظيفتها مبتدأ، بنيته العميقة " تأكيد كونه موجوداً من المسبحين".

الخبر المحول بالاستبدال أو الجملة المؤدية وظيفة الخبر:

لقد عرفنا أن الإسناد أهم معنى ذهني (نحوي) في الجملة. إذ عليه تبنى هذه الجملة. والمسند أو المخبر به أو الخبر وهو الجزء الذي يكمن فيه الحكم ويرتكز عليه البناء، وبه تتم الفائدة من ذكر المسند إليه. وهو المبني على المبتدإ أو اسم الناسخ شرطه أن يفيد شيئاً لم يفده المبتدأ أو اسم الناسخ. فإذا لم يختلف عنهما في الإفادة كان التركيب الإسنادي فاسداً، يؤيد ذلك قول لأبي علي الفارسي فحواه: "واعلم أنه لا يجوز أن تقول إن الذاهب جاريته صاحبها، لأنك لا تفيد بالخبر شيئاً لم يستفد من المبتدأ. وحكم الجزء الذي هو الخبر أن يفيد ما لم يفده المبتدأ. وقد بين "سيبويه" أن الخبر لا بد أن يكون شيئاً هو المبتدأ أو زمانه أو مكانه. وقبل أن نعرض لصور الجملة المؤدية وظيفة الخبر نلفت الانتباه إلى ملاحظة مؤداها أن كلاً من المبتدأ واسم الناسخ قد يخبر عنهما بالاسم المفرد أو الظرف أوالجملة. يؤيد ذلك قول لسيبويه مؤداه: "كما أن قولك: عبد الله لقيته يصير لقيته فيه بمنزلة الاسم، كأنك قلت "عبد الله منطلق" أي أن " لقيته" جملة فعلية وقعت خبراً للمبتدأ عبد الله. ويسجل أن ثمة أنواعاً من المبتدآت لا يخبر عنها إلا بالجمل (١٦).

١- صور الجملة المؤدية وظيفة الخبر:

الخبر مثله مثل المبتدأ واسم الناسخ، إذا ورد جملة يصح وقوعها موقع المفرد عوملت تلك الجملة معاملة المفرد من حيث الناحية الإعرابية والجملة المؤدية وظيفة الخبر قد تكون مؤدية وظيفة خبر المبتدأ وقد تكون مؤدية وظيفة خبر الناسخ. وقد تكون فعلية وقد تكون اسمية.

وصور الجملة الفعلية المؤدية وظيفة خبر المبتدأ: وهي الجملة المندرجة في الجملة الاسمية المركبة العارية عن العوامل اللفظية.

أولاً- صور الجملة الفعلية:

أ- صور الجملة الماضوية:

١- صور الجملة الماضوية البسيطة:

أ- صور الجملة الماضوية البسيطة المثبتة:

ولهذه الجملة التي فعلها ماض مثبت صور متنوعة.

الصورة الأولى:

ونقف عليها في قوله تعالى: (والله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً)(الزمر /٢١). وهي "نزل أحسن الحديث" المؤلفة من الفعل الماضي المثبت "نزل"، والفاعل الضمير المستتر "هو" أي "الله"، والمفعول به "أحسن" والمضاف إليه "الحديث". وقد أدت هذه الجملة الماضوية المثبتة وظيفة خبر المبتدأ "الله". ويلاحظ أن وقوع اسم الله مبتدأ وبناء الجملة الماضوبة عليه فيه تفخيم لأحسن الحديث وتأكيد لإسناده إليه وأنه من عنده، وأن مثله لا يجوز أن يصدر عن غيره تنبيهاً على أنه وحي معجز مباين لسائر الأحاديث.

وقد عرض "الجرجاني" لمعنى الابتداء والخبر في مثل هذه الجملة المركبة المتضمنة خبراً جاء جملة فعلية قائلا: "فإذا قلت عبد الله فقد أشعرت قلبه أنك قد أردت الحديث عنه، فإذا جئت بالحديث فقلت مثلاً: قام أو قلت خرج أو قلت قدم فقد علم ما جئت به، وقد وطأت له وقد مت الإعلام به فدخل على القلب دخول

المأنوس به، وقبله قبول المتهيئ له المطمئن إليه. وذلك ـ لا محالة. أشد لثبوته وأنفى للشبهة، وأمنع للشك وأدخل في التحقيق".

والرابط بين المبتدأ "الله" والجملة المذكورة إنما هو الضمير "هو". ومما يجدر الالتفات إليه أن لهذا الضمير الموجود في فعل الجملة "نزل" تأثيراً يتمثل في زيادة التمكين والتوكيد، فكأنه تكرار للمسند إليه. وقد سبق أن عرفنا أنه ليس ثمة شيء أعلق بمعنى التوكيد كالتكرير. قال صاحب كاتب "الإشارات والتنبيهات": "من فوائد تقديم المسند إليه (١٧) إذا كان المسند ذا ضمير له أن يقرر الحكم في ذهن السامع ويؤكده بسبب تكراره. سواء كان اسماً ظاهراً نحو "زيد ركب" فإنه كرر معناه ظاهراً ومضمراً مستتراً".

والبنية العميقة لتلك الجملة الماضوية هي "منزل أحسن الحديث". ولم يتم التعبير بالوصف "اسم الفاعل" لأن الاختلاف بينهما دلالي توفره زيادة الصيغة الزمنية بالنسبة إلى الفعل "نزل" الذي يؤكد أن خروجهم قد تم في الماضي. بينما يفتقر إلى ذلك " الوصف "الموجود في التركيب الباطني المقدر "منزل أحسن الحديث".

الصورة الثانية:

ونقف على نموذج لها في قوله تعالى: (هو الذي أنزل من السماء ماء)(النحل/١٠).

ذلك أن الجملة الماضوية البسيطة "الذي أن أنزل من السماء ماء" المؤلفة من اسم الموصول "الذي"، والفعل الماضي " أنزل"، وفاعله المضمر "هو"، والجار والمجرور "من السماء"، والمفعول به "ماء" قد أدت وظيفة خبر المبتدأ "هو" لأن الذي وصلته بمنزلة اسم واحد.

فإذا قلت هو الذي فعل فكأنك قلت هو الفاعل. ولما كانت البنية العميقة لتلك الجملة هي "المنزل من السماء ماء"، فإن مجيء الخبر على هذه الصورة إنما كان لإفادة استحقاق المبتدأ للخبر. فالمبتدأ "هو" أي "الله" في هذه الجملة الاسمية المركبة (١٨) هو المستحق لأن يوصف بصفة إنزال الماء من السماء دون سواه. كما أن تعريف الخبر "الذي أنزل من السماء ماء" أي المنزل من السماء ماء إنما جاء لقصره على المبتدأ وتخصيصه له وبخاصة إذا كان الخبر بمعنى(١٩) يتعدى ثم اشترطت له

مفعولاً مخصوصاً كقول الأعشى:

هو الواهب المنة المصطفا ة إما مخاضاً وإما عشارا

أي هو الواهب لا غير.

الصورة الثالثة:

وفيها سنجد أن مثل هذه الجملة محولة بحذف العائد من صلة الموصول. ففي الآية الكريمة: (أهذا الذي بعث الله رسولاً)(الفرقان/٤١). نجد الجملة الاسمية المركبة " أهذا الذي بعث الله " قد ورد خبرها جملة مضارعية هي "الذي بعث الله" المؤلفة من اسم الموصول "الذي" وصلته "بعث الله " المحذوف عائدها الذي هو ضمير متصل منصوب. ذلك أن البنية العميقة لهذه الصلة "بعثه". والبنية العميقة لهذه الجملة المضارعية المؤدية وظيفة خبر المبتدأ "هذا" هي "الباعثه الله" لتكون البنية العميقة للجملة المركبة هي "أهذا الباعثه الله رسولاً".

الصورة الرابعة:

ونتناول فيها الجملة الواقعة خبراً بعد اسم الكناية "كأين" (٢٠) في نحو قوله تعالى: (وكأين من نبيء قاتل مع ربيون كثير)(آل عمران/١٤٦). فالجملة الماضوية "قاتل معه ربيون" يلاحظ أنها أدت وظيفة خبر "كأين "وهي تفيد التقوية.

وسجل أن الضمير المستتر" هو" الموجود في الفعل الماضي " قاتل " هو رابط المبتدأ " كأين " بخبره الوارد جملة ماضوية.

الصورة الخامسة:

وفيها سنجد أن الجملة الماضوية مقترنة بالفاء الرابطة. ونقف على مثال لها في الآية الكريمة: (وأما ثمود فهديناهم) (فصلت /١٧). فالجملة المركبة في هذه الآية وقع فيها تقديم لا على نية التأخير (٢١)، أي تحويل جذري بمفهوم اللسانيات الحديثة فالمبتدأ " ثمود " لم يقدم للتركيز عليه، وإنما جعل وسيله للفت انتباه السامع إلى منطلق مشترك بينهما يبنى عليه الخب الجديد. ولنا أن نقابل هذه الجملة المركبة في الفرنسية بالاستعمال الذي تحدث عنه "مار تنيه" في قوله: " كثيراً ما يحتل مدخل الجملة عنصر لساني لا يحمل وظيفة الفاعل وتلجأ اللغة إلى مثل هذا الاستعمال

عندما تريد التركيز على هذا العنصر مثل " الرجل أعرفه "Lhomme je le connais". وهذا ما يدعم الاعتقاد بالأهمية التي توليها اللغة لصيغة الصدارة من كل المنظومات اللسانية، إذا إنها تؤدي من الناحية الشكلية على الأقل. دور ما نطلق عليه صاحب الأولوية " (٢٢). وقد حلل سيبويه الجملة ذات التحويل الجذري قائلا: " فإذا بنيت الفعل على الاسم قلت " زيد ضربته" فلزمت الهاء، وإنما تريد بقولك مبني على الفعل أنه في موضع منطلق إذا قلت " عبد الله منطلق". فهو في موضع هذا الذي بني على الأول وارتفع به " (٢٣). لذلك فالجملة الماضوية البسيطة " فهديناهم " المؤلفة من فاء رابطة + فعل ماض + فاعل "نا" + مفعول به "هم" مبني عليها المبتدأ "ثمود". فهي في موضع خبر له "و إنما حسن أن يبنى الفعل على الاسم حيث كان معملاً في المضمر وشغلته به ولولا ذلك لم يحسن لأنك لم تشغله بشيء" (٢٤). فلو قيل " وأما ثمود فهدينا " لم يحسن لأن الضمير العائد على المبتدأ إجباري ولولا ذلك لم يحسن على حد تعبير سيبويه (٢٥).

وأساس ذلك أن هذا العائد قد عمل على المحافظة على سلامة البناء. وذلك بربط الخبر بالمبتدأ. وهذا الضمير الغائب "هم" في قوة الاسم الظاهر "ثمود" في حقل المطابقة(٢٦). ولنا أن ننظر في قوله تعالى: (أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها) (النازعات/٢٧). حيث نجد أن خبر المبتدأ " السماء " هو الجملة الماضوية البسيطة "بناها"، لأن في رفع المبتدأ "السماء" ما يجعل عطف الجملة الاسمية المركبة "السماء بناها" صالحاً على الجملة الاسمية البسيطة " أأنتم أشد خلقاً".

الصورة السادسة:

وفيها سنجد مثل هذه الجملة الماضوية المقترنة بالفاء الرابطة وارداً فعلها ماضياً مبنياً لما لم يسم فاعله. في نحو قوله تعالى(وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) (الحاقة/٦). ذلك أن الجملة الماضوية البسيطة "فأهلكوا" المؤلفة من الفاء الرابطة. والفعل الماضي المبني لما لم يسم فاعله "أهلك"، وواو الجماعة المؤدي وظيفة المسند إليه السلبي(٢٧)(نائب فاعل) قد جاءت لتؤدي وظيفة خبر المبتدأ(عاد) المتحدث عنه. وبنيتها العميقة "فمهلكون". وقد جاء التعبير في هذه الآية عن الخبر بالجملة الماضوية

ولم يأت بالمفرد (اسم المفعول) للدلالة على توكيد إسناد خبر الهلاك إلى ثمود، وأن هذا الهلاك كان في الزمن الماضي.

الصورة السابعة:

وهي التي يكون المسند في جملتها وصفاً عاملاً جاء على بناء "اسم الفاعل" في نحو قوله تعالى: (وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه)(الكهف/١٨). فالجملة الاسمية المركبة " كلبهم باسط ذراعيه" (٢٨) انطلاقا من الرؤية يلاحظ أن خبرها "باسط ذراعيه" ورد جملة ماضوية بسيطة مؤلفة من الوصف " باسط" الذي يعد فعلاً (٢٩)، وفاعله المضمر "هو"، والمفعول به "ذراعيه". وبنيتها العميقة "بسط ذراعيه".

ب- صور الجملة الماضوية البسيطة المؤكدة:

الصورة الأولى:

حين نمعن النظر في الآية الكريمة: (وإذا جاؤوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به)(المائدة / ٦١). نجد الجملة الماضوية "قد خرجوا به" المكونة من حرف التحقيق " قد "، والفعل الماضي "خرج"، والضمير المتصل(واو الجماعة) فاعله قد جاءت لتؤدي وظيفة الخبر في الجملة الاسمية المركبة. ويلاحظ أن هذه الجملة الماضوية البسيطة تفيد توكيد حصول فعل خروج المدعين المخادعين بالكفر وإثبات تكذيبهم. وهذه الجملة الفعلية التي بها تم توكيد حصول الخروج من المبتدأ المحول عن الفاعل قد اشتملت على مؤكدين هما " قد" والتكرار الذي كرر فيه المسند إليه منفصلاً ومتصلاً، ذلك لأن من فوائد تقديم المسند إليه إذا كان المسند ذا ضمير له أن يقرر الحكم في ذهن السامع ويؤكده بسبب تكراره سواء كان اسماً ظاهراً أو ضمير المخاطب نحو "أنت ركبت" كرر متصلاً ومنفصلاً، وكذلك هو "ركب" (٣٠). فمن تأثير الضمير الموجود في الجملة "قد خرجوا " وهو " واو" الجماعة المعرب فاعلاً أنه يزيد من التمكين والتوكيد. فكأنه تكرير للمسند إليه المبتدأ "هم " كما سلفت الإشارة إلى ذلك في النص المسوق.

الصورة الثانية:

وفيها سنجد أن هذه الجملة الماضوية مؤكدة بالقصر. ونقف على مثال لها في الآية الكريمة: (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير)(فاطر/٢٤). حيث إن الجملة الماضوية "خلا فيها نذير" مؤدية وظيفة خبر المبتدأ " أمة" في هذه الجملة الاسمية المحولة بالزيادة. وبنيتها العميقة "خال فيها نذير" أو "خال نذير فيها".

الصورة الثالثة:

ونجد مثالاً لها في الآية: (إنْ أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم)(المجادلة/٢). فالجملة "اللائي ولدنهم" المكونة من اسم الموصول " اللائي " والفعل الماضي "ولدن" والفاعل الضمير المستتر "هن" والمفعول به "هم " تؤدي في هذه الجملة الاسمية المركبة "إنْ أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم" وظيفة خبر المبتدأ " أمهاتهم". ولما كانت هذه الجملة في المعنى هي نفسها المبتدأ ، لم يحتج فيها إلى رابط يربطها به. وقد دلت هذه الجملة على أنه لا يكون أمهات حقيقة إلا الوالدات؛ أي أن صفة الأمهات إنما تكون للائي يلدن فقط. أما قوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم)(الأعراف/٦). فيقصد أنهن كالأمهات في حرمة التزويج ولسن بأمهات حقيقة (٣١).

يقول سيبويه "واعلم أن المبتدأ لابد له من أن يكون المبني عليه شيئا هو هو. وما يؤيد أن الخبر هو المبتدأ أنه يجوز أن يفسر كل واحد منهما بصاحبه " اللائي ولدنهم هن أمهاتهم " (٣٢).

٢- صور الجملة الماضوية المركبة المؤدية وظيفة خبر المبتدأ:

صورتها:

نقف عليها في الآية الكريمة: (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) (البقرة /٢٩). حيث إن الجملة " الذي خلق لكم ما في الأرض" الماضوية المركبة مؤدية وظيفة خبر المبتدأ المتمثل في ضمير الرفع المنفصل "هو". وبنيتها العميقة" الخالق لكم ما في الأرض".

٢ـ صور الجملة المضارعية المؤدية وظيفة خبر المبتدأ:

١- صور الجملة المضارعية البسيطة:

أ- صور الجملة المضارعية البسيطة المثبتة:

الصورة الأولى:

ونقف على مثال لها في قوله تعالى: (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم) (التوبة / ١٠١).

ذلك أن الجملة الاسمية المركبة " نحن نعلمهم " احتوت على جملةمضارعية بسيطة " نعلمهم" مكونة من فعل مضارع "نعلم"، وفاعل(الضمير المستتر " نحن")، ومفعول به (الضميرالمتصل "هم"). ويلاحظ أن هذه الجملة قد أدت وظيفة خبر المبتدأ " نحن". وبنيتها العميقة " عالموهم" (٣٣).

والرابط بينها وبين المبتدأ هو حرف المضارعة " النون" وجاءت هذه الجملة مضارعية لتخصيص المسند إليه " نحن". إذ إن المقصود منها " لا نعلمهم إلا نحن، ولا يطلع على أسرارهم غيرنا " (٣٤). وإننا حين ننتقل إلى الآية الكريمة: (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون)(الأنبياء/ ٢١). نجد الجملة المضارعية البسيطة "ينشرون" مؤدية وظيفة خبر المبتدأ ضمير الرفع المنفصل "هم". وعندما عرض" الزمخشري" لهذه الآية قال: " فإن قلت لا بد من نكتة في قوله (هم). قلت: النكتة فيه إفادة معنى الخصوصية كأنه قيل: " أم اتخذوا آلهة لا يقدر على الانتشار إلا هم وحدهم".

الصورة الثانية:

وشاهدها الآية الكريمة: (هو الذي يحي ويميت)(غافر/٦٨). فالجملة المضارعية " الذي يحيي ويميت" مؤدية وظيفة خبر المبتدأ المتمثل في ضمير الرفع المنفصل " هو". وبنيتها العميقة "المحي والمميت". ومجيء فعلها مضارعاً يفيد استمرار حدوث فعل الإحياء والإماتة المقصورين على المبتدأ والمخصوصين به دون سواه.

الصورة الثالثة:

وفيها تكون هذه الجملة المضارعية خبراً لـ" كأين". ففي قول تعالى: (وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون)(يوسف/ ١٠٥). نجد

التركيب الإسنادي "يمرون" المؤلف من الفعل المضارع المثبت "يمرون"، وواو الجماعة المؤدية وظيفة الفاعل يمثل جملة مضارعية بسيطة وظيفتها خبر المبتدأ " كأين". والبنية العميقة للجملة الاسمية المركبة في هذه الآية هي "وكم من آية موجودة في السماوات والأرض مارون عليها ".

الصورة الرابعة:

ونجد الجملة المضارعية فيها مقترنة بالفاء الرابطة. ففي الآية الكريمة: (فأما الزبد فيذهب جفاء)(الرعد/١٧). يسجل أن الجملة المضارعية " فيذهب جفاء " قد أدت وظيفة خبر المبتدأ " الزبد"، وأنها جاءت مقترنة بالفاء. وبنيتها العميقة " فذاهب جفاء". وهي تدل على توكيد إسناد ذهاب جفاء إلى الزبد.

الصورة الخامسة:

وفيها نجد أن الفعل المضارع في هذه الجملة مقترن بالحرف السابك " أن"، ونجد أن هذه الجملة محولة بالتأخير. ونقف على ذلك في قوله تعالى: (قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى)(طه/ ٥٩). حيث إن الجملة المضارعية البسيطة " أن يحشر الناس" مؤدية وظيفة خبر المبتدأ " موعدكم" لأنها معطوفة على الخبر المفرد" يوم الزينة". والبنية العميقة لها هي" حشر الناس ضحى".

الصورة السادسة:

وهي تلك التي يكون الوصف فيها مع معموله قائماً مقام الخبر. وأساس ذلك أن الوصف مع مرفوعه يتنزل منزلة الفعل مع مرفوعه ويتضمن معناه، لذلك حق له أن يكون جملة في مثل هذه التراكيب. ويمكن أن يكون هذا الوصف اسم فاعل في نحو اسم الفاعل الوارد في قوله تعالى: (والله متم نوره ولو كره الكافرون)(الصف/٨). وهو "متم". وبنيته العميقة " يتم" وفاعله ضمير مستتر تقديره "هو" و"نوره" مفعول به، و"الهاء" ضمير متصل في محل جر مضاف إليه. فالجملة المضارعية " متم نوره" وظيفتها خبر المبتدأ " الله " وبنيتها العميقة "يتم نوره " وهي تفيد تأكيد إسناد إتمام النور إلى الله جل شأنه. ومجيء المسند " متم " اسم فاعل منوناً فيه دلالة على استمرار حدوث الحدث المذكور(٣٥).

الصورة السابعة:

ونجد فيها الضمير الرابط بين المبتدأ وهذه الوحدة الإسنادية غير متطابق، ففي الآية الكريمة: (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)(يس/٤٠). يلاحظ أن الجملة المضارعية البسيطة "يسبحون" جاءت مؤدية وظيفة خبر المبتدأ "كل" (٣٦) وقد اشتملت على ضمير مختص بالذكور العاقلين، وهو (واو الجماعة) الذي أدت وظيفة الفاعل في هذه الجملة على الرغم من أن المبتدأ "كل" مما لا يعقل لأنه يعود على الشمس والقمر والليل والنهار(٣٧) وقد وجد "الخليل بن أحمد الفراهيدي" لذلك تفسيراً، فرأى أن ما لا يعقل نزل منزلة من يعقل لأنها تقوم بطاعة الله.

ب- صور الجملة المضارعية البسيطة المنفية:

الصورة الأولى:

ونجد مثالاً لها في قوله تعالى: (والله لا يحب كل كفار أثيم)(البقرة /٢٧٦). فالجملة المضارعية المنفية البسيطة "لا يحب كل كفار أثيم" الواقعة خبراً للمبتدأ المحول عن الفاعل "الله" تفيد توكيد نفي حب كل كفار أثيم من لدن الله ويلاحظ فيها إثبات المسند المنفي إلى المسند إليه(٣٨) تعالى، يعزز ما ذهبنا إليه قول عبد القاهر الذي جاء فيه "واعلم أن هذا الصنيع يقتضي في الفعل المنفي ما اقتضاه في المثبت فإذا قلت أنت لا تحسن هذا أشد لنفي إحسان ذلك عنه من أن تقول: لا تحسن هذا. ويكون الكلام في الأول مع من هو أشد إعجاباً بنفسه وأعرض دعوى في أنه يحسن حتى إنك لو أتيت بـ " أنت" فيما بعد يحسن فقلت: لا تحسن لم تكن له تلك القوة". والبنية العميقة لهذه الجملة المضارعية المنفية هي "غير محب كل كفار أثيم".

وقد يكون حرف النفي في مثل هذه الجملة هو" لم" في نحو قوله تعالى: (أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم)(الأحزاب/١٩). إذ إن الجملة المضارعية المنفية "لم يؤمنوا" مؤدية وظيفة خبر المبتدأ " أولئك". وبنيتها العميقة " غير مؤمنين".

وقد يكون حرف النفي هو " ما النافية" ونقف على ذلك في قوله تعالى: (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير)(فاطر/١٣). ذلك أن الجملة المضارعية المنفية

"ما يملكون من قطمير" المحولة بالزيادة (٣٩) مؤدية وظيفة خبر المبتدأ " الذين تدعون من دونه" الوارد جملة مضارعية بسيطة. والبنية العميقة لهذه الجملة المضارعية المنفية هي" غير مالكين قطميراً ".

الصورة الثانية:

وهي التي تكون خبراً " لكأين ". ذلك أن ابن هشام ذكر أن خبر " كأين" لا يكون مفرداً.

ومن خبرها الذي يكون جملة مضارعية منفية ما هو وارد في قوله تعالى: (وكأين من دابة لا تحمل رزقها، الله يرزقها وإياكم)(العنكبوت/٦٠). وهو " لا تحمل رزقها " الذي يلاحظ أنه أدى وظيفة خبر المبتدأ " كأين" (٤٠). والبنية العميقة لهذه الجملة الاسمية المركبة هي " وكم من دابة غير حاملة رزقها". وهي تفيد إثبات المسند المنفي إلى المسند إليه أو توكيد نفي حمل الرزق عن عدد كبير من الدابات.

الصورة الرابعة:

ونقف عليها في قوله تعالى: (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يظل أعمالهم)(محمد /٤) فالجملة المضارعية المنفية "فلن يضل أعمالهم" المؤلفة من الفاء الرابطة، وحرف النفي والنصب " لن"، والفعل المضارع المنصوب بها "يضل"، والفاعل المضمر "هو"، والمفعول به "أعمال"، والمضاف إليه "هم" مؤدية وظيفة خبر المبتدأ " الذين قتلوا في سبيل الله"(٤١). وهي تفيد توكيد نفي ضلال أعمال المقتولين في سبيل الله في المستقبل قال صاحب الكشاف: فإن قلت ما حقيقة "لن" في باب النفي قلت لا، ولن في نفي المستقبل إلا أن في "لن" توكيداً وتشديداً(٤٢). ولما كان يلمح معنى الجزاء في هذه الجملة الاسمية المركبة، وجدنا الجملة المضارعية الواقعة خبراً فيها مقترنة بالفاء لأن الجملة المؤدية وظيفة المبتدأ المؤلفة من اسم الموصول وصلته هي في معنى "من" الشرطية فكأن البنية العميقة "من ينفق أموالهم" فالعرب تدخل في كل خبر مهما كان اسمه مما يوصل". والبنية العميقة لهذه الجملة المضارعية المنفية هي "غير ضالة أعمالهم".

الصورة الخامسة:

ونقف عليها في الآية الكريمة: (وما الله يريد ظلماً للعباد)(فاطر/٣١). فالجملة

المضارعية "يريد ظلماً" الواقعة خبراً للمبتدأ "اللّه" جاءت لتفيد قصر المسند الفعلي على المسند إليه "اللّه" وتخصيصه له أي انتفاء الحكم عن المسند إليه لتبين قوة توكيد نفي إرادة الظلم للعباد عن اللّه(٤٣). فالمقصود في هذه الجملة الاسمية المركبة ليس نفي المسند إليه، وإنما هو نفي المسند(الخبر) عن المسند إليه، وأساس ذلك أن دخول النفي على المسند إليه مشعر بإخراج هذه الذات "اللّه" من الحكم وفي ذلك من القوة والتوكيد الشيء الكثير(٤٤)، وبخاصة أننا نلاحظ الفعل المضارع "يريد" في هذه الجملة ذا ضمير من شأنه أن يقرر الحكم في ذهن السامع، ويؤكد بسبب تكراره ظاهراً ومضمراً.

الصورة السادسة:

ونقف على نموذج لها في الآية الكريمة: (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال إلا رمزاً) (آل عمران/٤١). حيث إن الجملة المضارعية المنفية "ألا تكلم الناس" المؤلفة من الحرف المصدري "أن"، و"لا النافية" المدغمة فيه، والفعل المضارع المنصوب "تكلم"، والفاعل المضمر الذي لا ينفك عنه "أنت"، والمفعول به "الناس" وظيفتها خبر المبتدأ "آيتك" (٤٥). والرابط بين المبتدأ والخبر هو الضمير "أنت". والبنية العميقة لهذه الجملة المضارعية المنفية البسيطة هي "عدم تكليمك الناس".

جـ- صور الجملة المضارعية البسيطة المؤكدة:

الصورة الأولى:

في الآية الكريمة: (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل اللّه، إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون)(الأنعام /١١٦). نجد الجملة المضارعة "يخرصون" وقعت خبراً للمبتدأ "هم" وبنيتها العميقة "خارصون" والجملة الاسمية المركبة " إن هم إلا يخرصون" أسلوبها أسلوب قصر واستعملت إن مع إلا في التوكيد لغرض القصر، قصرت فيه صفة "الخرص" على المبتدأ "هم" (٤٦).

الصورة الثانية:

هذه الصورة توضحها لنا الآية الكريمة: (وإن(٤٧) من شيء إلا يسبح بحمده) (الإسراء/٤٤). حيث إن الجملة المضارعية البسيطة "يسبح" المكونة من الفعل

المضارع المرفوع "يسبح"، والفاعل المضمر الذي لا يخلو منه "هو" يسجل أنها أدت وظيفة خبر المبتدأ "شيء" المجرور لفظاً المرفوع محلاً. والبنية العميقة للجملة الاسمية المركبة في هذه الآية هي "وما شيء إلا مسبح بحمده" فهي تنفي أن يكون هناك شيء لا يسبح بحمد الله، أي كل شيء يسبح بحمد الله.

الصورة الثالثة:

وفيها سنجد أن مثل هذه الجملة المؤكدة بالقصر مقترنة بـ "لام" التوكيد و"نون التوكيد الثقيلة". ونقف على ذلك في قوله تعالى: (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته)(النساء/١٥٩). فالجملة المضارعية "ليؤمنن به" المؤلفة من الفعل المضارع "ليؤمنن" (٤٨) المتصلة به لام التوكيد ونون التوكيد الثقيلة، وفاعله المضمر "هم" وظيفتها خبر المبتدأ " أهل الكتاب". والبنية العميقة للجملة الاسمية المركبة في هذه الآية هي "وما أهل الكتاب إلا مؤكد إيمانهم به". فهي تنفي أن يكون هناك أحد من أهل الكتاب غير مؤمن به.

الصورة الرابعة:

و فيها تكون هذه الجملة محولة بالاستبدال. ونقف على مثال لها في قوله تعالى: (إن كل من السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً)(مريم /٩٤). ذلك أن "آتي الرحمن" جملة مضارعية محولة. بنيتها العميقة "يأتي الرحمن" وهي تفيد تأكيد إتيان كل من في السماوات والأرض الرحمن.

الصورة الخامسة:

وفيها تكون الجملة مؤكدة بمؤكدين. ففي الآية الكريمة: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين)(العنكبوت/٩) نلاحظ الجملة المضارعية "لندخلنهم" المؤلفة من لام التوكيد، والفعل المضارع المقترن بنون التوكيد الثقيلة "ندخلن"، والفاعل الذي لا يخلو منه "نحن"، والمفعول به المتمثل في الضمير المتصل "هم" قد جاءت في موضع خبر المبتدأ. وقد دلت هذه الجملة المضارعية بفضل المؤكدين المذكورين على توكيد إدخال المؤمنين العاملين الصالحين في زمرة الصالحين. وتأكيد الحدوث تم عن طريق اقتران بناء "يفعل" باللام المؤكدة ونون التوكيد الثقيلة(٤٩).

الصورة السادسة:

ونقف على نموذج لها في قوله تعالى: (ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن) (يوسف/٢٥) حيث إن الجملة المضارعية البسيطة " أن يسجن" المؤلفة من الحرف المصدري السابك " أن"، والفعل المضارع المنصوب بها المبني لما لم يسم فاعله، ونائب الفاعل المضمر الذي بنيته العميقة "هو" قد جاءت مؤدية وظيفة خبر المبتدأ "جزاء".

والبنية العميقة لهذه الجملة الاسمية المركبة في هذه الآية هي "ما جزاء المريد بأهلك سوءاً إلا السجن". ويلاحظ أن القصر فيها من قبيل قصر الموصوف على الصفة(٥٠).

٢- صور الجملة المضارعية المركبة:

أ- صور الجملة المضارعية المركبة المثبتة:

الصورة الأولى:

ونقف عليها في قوله تعالى: (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً)(البقرة/٢٦). حيث إن الجملة المضارعية المركبة "فيقولون ماذا أراد الله" المؤلفة من الفعل المضارع المقترن بالفاء الرابطة وواو الجماعة (الفاعل) والمفعول به "ماذا أراد الله" الذي يلاحظ أنه ورد جملة ماضوية محولة بتقديم المفعول به "ماذا" لوروده اسم استفهام وهذه الجملة المضارعية المركبة أدت وظيفة خبر المبتدأ "الذين كفروا" الوارد جملة ماضوية بسيطة. وبنيتها العميقة " فقائلون ماذا أراد الله".

الصورة الثانية:

وشاهدها قوله تعالى: (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم)(النساء/٦٣). إذ إن الجملة المضارعية المركبة "الذين يعلم الله ما في قلوبهم" (٥١) مؤدية وظيفة خبر المبتدأ "أولئك". وبنيتها العميقة " العالم الله ما في قلوبهم" أي " الموجود في قلوبهم".

الصورة الثالثة:

وسنجد أن "المسند" الوصف" في مثل هذه الجملة الواقعة خبراً للمبتدأ فيها "اسم تفضيل" في نحو قوله تعالى: (فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين)(التوبة/١٣). حيث إن الجملة المضارعية المركبة "أحق أن تخشوه" المؤلفة من اسم التفضيل "أحق"،

والجملة المضارعية البسيطة " أن تخشوه" المؤدية وظيفة الفاعل للمسند " أحق" الذي يسجل أن بنيته العميقة "يحق" قد أدت هذه الجملة المضارعية المركبة وظيفة خبر المبتدأ " الله". والبنية العميقة لها هي " تحق خشيتة أكثر من أي كان".

ب- صور الجملة المضارعية المركبة المنفية:

الصورة الأولى:

ونقف على مثال لها في قوله تعالى: (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم في الدنيا)(المائدة/٤١). فالجملة المضارعية المركبة(٥٢) المنفية "الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم" مؤدية وظيفة خبر المبتدأ " أولئك". وبنيتها العميقة "غير المريد الله تطهير قلوبهم".

الصورة الثانية:

وهي التي يكون المسند في جملتها وصفاً عاملاً جاء على بناء "فاعل" مكوناً مع معموله جملة مضارعية مركبة. ففي الآية الكريمة: (ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد)(الكافرون/٣-٥). نجد الجمل الفعلية المركبة الثلاث "عابدون ما أعبد" و "عابد ما عبدتم" و "عابدون ما أعبد". جاءت لتؤدي وظيفة خبر المبتدأ " أنتم"، و" أنا"، و" أنتم". والبنيات العميقة لهذه الجمل المركبة هي" تعبدون معبودي" "وأعبد معبودكم" و"تعبدون معبودي".

ويسجل أن مجيء المسند في هذه الجمل ببناء " فاعل" منح النظم الدلالة على تأكيد نفي حدوث حدث عبادة الرسول صلى الله عليه وسلم لما يعبد الكافرون. وتأكيد نفي(٥٣) حدوث حدث عبادة الكافرين لما يعبد الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك أن دخول النفي على المبتدأ " لا أنا " و"لا أنتم " مشعر بإخراج هذه الذات من الحكم أي الخبر وفيه من القوة والتأكيد الشيء الكثير.

٣- صور الجملة الطلبية:

سبق أن أشرنا إلى أن جمهور النحاة وبعض الكوفيين لم يمنعوا أن يكون خبر المبتدأ جملة إنشائية(٥٤). ونقف على صورة لهذه الجملة في قوله تعالى: (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم)(التوبة/٣٤).

فالجملة الفعلية البسيطة " فبشرهم" المكونة من حرف الربط "الفاء" وفعل الأمر "بشر" والفاعل المضمر " أنت" والمفعول به الضمير المتصل " هم" يلاحظ أنها أدت وظيفة خبر المبتدأ " الذين يكنزون الذهب والفضة ". ونرى أن البنية العميقة لهذه الجملة هي" فالبشرى لهم". فهي طلبية أمرية مؤسسة على الأمر.

ثانياً- صور الجملة الاسمية:

أ- صور الجملة الاسمية غير المنسوخة:

١- صور الجملة الاسمية البسيطة:

أ- صور الجملة الاسمية البسيطة المثبتة:

الصورة الأولى:

و نقف على مثال لها في قوله تعالى: (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن)(الطلاق/٤). فالجملة الاسمية البسيطة " فعدتهن ثلاثة أشهر" المكونة من الفاء الرابطة، والمبتدأ "عدة"، والمضاف إليه "الضمير المتصل" هن"، والخبر " ثلاثة" والمضاف إليه " أشهر" يلاحظ أنها جاءت لتقوم مقام خبر المبتدأ " اللائي يئسن". وهذه الجملة الاسمية جاءت لتقوية الحكم وإفادة ثبوته ودوامه (٥٥). والفاء في هذه الجملة تعطي هذا التركيب الإسنادي معنى الجزاء. وإذا كان القياس يقتضي أن يكون التركيب بدون هذه الفاء، فإن سيبويه رأى أن إدخال هذه الفاء إنما لتكون العدة ثلاثة أشهر مع وقوع اليأس من المحيض. ونلفت الانتباه إلى أن الجملة الاسمية المركبة "و اللائي لم يحضن" المعطوفة على الجملة الاسمية المركبة (٥٦) خبرها هي الأخرى جملة اسمية بسيطة ولكنها محذوفة. بنيتها العميقة " فعدتهن ثلاثة أشهر". أفاد بذلك سياق الآية الكريمة.

الصورة الثانية:

ونسوق لها الآية الكريمة: (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء)(النور/ ٣٩، ٤٠). حيث إن التركيب الإسنادي "أعمالهم كسراب" هو جملة اسمية بسيطة قوامها "المبتدأ" أعمال "والمضاف إليه" الضمير المتصل "هم"،

والخبر "كسراب" المكون من كاف التشبيه الجار والاسم المجرور "سراب". وبنيته العميقة "يوجد". وهذه الجملة الاسمية البسيطة قد أدت وظيفة خبر المبتدأ "الذين كفروا".

الصورة الثالثة:

ونقف على مثال لها من الآية الكريمة: (والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم)(الشورى/٤). فالجملة الاسمية: "الله حفيظ عليهم" هي خبر المبتدأ(٥٧) والرابط هو الضمير "هم" المشتمل عليه الجار والمجرور "عليهم".

الصورة الرابعة:

ففي قوله تعالى: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم)(البقرة/٢٧٤). نجد الجملة الاسمية البسيطة "فلهم أجرهم" المؤلفة من الفاء الرابطة، والجار والمجرور "لهم" الخبر المقدم، والمبتدأ المؤخر"أجر"، والمضاف إليه الضمير المتصل "هم" وظيفتها خبر المبتدأ. واقتران هذه الجملة الاسمية "بالفاء" مرده إلى أن مبتدأها الذي هو جملة مؤلفة من اسم الموصول "الذي" وصلته في معنى "من" الشرطية التي يكون جوابها بالفاء في المجازاة(٥٨)؛ ذلك أن التركيب الباطن للجملة المركبة في هذه الآية هو "من ينفقوا أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم". وبنيتها العميقة "فموجود أجرهم". وقد سأل سيبويه الخليل عن قوله الذي يأتيني فله درهمان: "لم جاز دخول الفاء ههنا. والذي يأتيني بمنزلة عبد الله. وأنت لا يجوز لك أن تقول: عبد الله فله درهمان؟ فقال: إنما يحسن في الذي لأنه جعل الآخر جوابا للأول وجعل الأول به يجب له الدرهمان. قد د خلت الفاء ههنا كما دخلت في الجزاء إذا قال: إن يأتني فله درهمان كما تقول عبد الله له درهمان. غير أنه إنما أدخل الفاء لتكون المطية مع وقوع الإتيان. فإذا قال له درهمان فقد يكون أن لا يوجب له ذلك الإتيان. فإذا أدخل الفاء فإنما يجعل الإتيان بسبب ذلك. فهذا جزاء وإن لم يجزم لأنه صلة ". ومن أدخل الفاء ذهب باسم الموصول "الذين" إلى تأويل الجزاء. إذا احتاجت إلى أن توصل ومن ألقاها فهو من القياس(٥٩). وإنما أدخلت الفاء ليكون الأجر لهم من وقوع الإنفاق بتلك الصورة.

الصورة الخامسة:

وفيها تكون هذه الجملة الاسمية البسيطة محولة بالحذف. ونقف على عينة لها في قوله تعالى: (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة) (المجادلة/٣). فالجملة الاسمية "فتحرير رقبة" محولة بحذف مبتدئها الذي لم يظهر في البنية السطحية. وبنيتها العميقة "فكفارته تحرير رقبة".

الصورة السادسة:

وفيها يسجل حذف مبتدئها المجرد من الفاء الرابطة. وتستوقفنا عندها الآية الكريمة: (وهو الذي في السماء إله)(الزخرف/٨٤). ذلك أن الجملة الاسمية البسيطة "الذي في السماء إله" مؤدية وظيفة خبر المبتدإ الضمير المنفصل "هو". ويلاحظ أن الخبر "إله" محذوف مبتدؤه لدلالة المعنى عليه. والبنية العميقة لهذه الجملة الاسمية "الذي هو في السماء إله"(٦٠).

الصورة السابعة:

وفيها تكون هذه الجملة استفهامية. ونقف على مثال لها في قوله تعالى: (الحاقة ما الحاقة)(الحاقة/١). إذ إن الجملة الاسمية البسيطة "ما الحاقة" المكونة من المبتدإ "ما" الوارد اسم استفهام، والخبر "الحاقة" مؤدية وظيفة خبر المبتدأ "الحاقة" الكلمة الأولى.

ب- صور الجملة الاسمية المؤكدة:

الصورة الأولى:

ونقف عليها في الآية الكريمة: (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها)(الإسراء/٥٨). ذلك أن الجملة الاسمية "نحن مهلكوها" المؤلفة من المبتدأ "نحن"، والخبر "مهلكو"، والمضاف إليه الضمير المتصل "ها" قد أدت وظيفة خبر المبتدأ "قرية". وبنيتها العميقة "مهلكة منا" وقد أفادت نفي وجود قرية لم يمسها هلاك الله وأكدت هلاك كل قرية. والبنية العميقة للجملة الاسمية المركبة في هذه الآية هي "وما من قرية إلا مهلكة منا". ويلاحظ أن الهلاك غير محدد الزمن.

الصورة الثانية:

وفيها يكون خبر مثل هذه الجملة ظرفاً في نحو قوله تعالى: (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه)(الحجر /٢١). فالجملة الاسمية البسيطة "عندنا خزائنه" المؤلفة من الخبر المقدم الظرف "عند"، والمضاف إليه ضمير المتكلمين المتصل " نا"، والمبتدأ المؤخر "خزائن"، والمضاف إليه الضمير المتصل (ه). مؤدية وظيفة خبر المبتدأ " شيء". والبنية العميقة لهذه الجملة الاسمية المركبة في هذه الآية هي" وما من شيء إلا موجود عندنا خزائنه". وقد أفادت هذه الجملة تأكيد نفي وجود شيء ليس عند الله خزائنه. ولقد أوضح الجرجاني أن هذا النوع من القصر جيء به لمخاطب منكر للأمر أو منزل منزلة المنكر، أي الجاحد.

الصورة الثالثة:

وتقف على نموذج لها في قوله تعالى: (وما منا إلا له مقام معلوم)(الصافات/١٦٤). حيث إن الجملة الاسمية المركبة في هذه الآية بنيتها العميقة " ما أحد منا إلا له مقام معلوم." والجملة الاسمية البسيطة " له مقام معلوم " المؤلفة من الجار والمجرور " له " الخبر المقدم، والمبتدأ المؤخر"مقام"، والنعت " معلوم" قد أدت وظيفة خبر المبتدأ المحذوف" أحد ". وهذه الجملة تفيد اختصاص مقام معلوم لكل واحد. فهي تنفي أن يكون أحد منا بغير مقام معلوم. وبنيتها العميقة هي " موجود مقام معلوم له". وبذلك يكون التركيب الباطني للجملة الاسمية المركبة في هذه الآية هو: "ما أحد منا إلا موجود مقام معلوم له ".

الصورة الرابعة:

وفيها تكون هذه الجملة محولة بالزيادة والتعريف. وشاهدها قوله تعالى: (والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون)(العنكبوت/٥٣). إذ إن الجملة الاسمية البسيطة" أولئك هم الخاسرون المؤلفة من المبتدأ " أولئك"، وضمير الفصل "هم" المفيد التوكيد، والخبر " الخاسرون" المحول بالتعريف يلاحظ أنها قد أدت وظيفة خبر المبتدأ (٦١). وهي تفيد قصر الخسران على المبتدأ، أي استحقاق المبتدأ للخبر.

الصورة الخامسة:

إذا كنا قد لاحظنا أن ثمة تطابقاً بين المبتدأ والخبر في الجملتين اللتين أدتا وظيفة هذين الركنين الأساسيين في الجملتين الاسميتين المركبتين اللتين وقفنا فيهما على صورتين للجملة المؤدية وظيفة الخبر. إذا كنا قد لا حظنا ذلك التطابق من حيث الجمع، فإننا في هذه الجملة الاسمية المؤكدة لا نجد ذلك التطابق. ففي الآية الكريمة: (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون)(الزمر/٣٣). نجد الجملة الاسمية البسيطة "أولئك هم المتقون" المؤدية وظيفة خبر المبتدأ (٦٢) قد ورد اسم الإشارة الرابط فيها "أولئك" الذي يختص بجمع الذكور غير متطابق مع المبتدإ الخاص بالمفرد المذكر. وقد رأى "أبو علي الفارسي" أن أسماء الموصول "الذي، ومن، وما" لا تخص واحدة منها شيئاً معيناً، وأنها تكون للكثرة وللواحد أي للمفرد وللجمع.

الصورة السادسة:

ونقف عليها في قوله تعالى: (والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)(الأعراف/٣٦). فالجملة الاسمية البسيطة "أولئك أصحاب النار" المؤلفة من المبتدأ "أولئك"، والخبر "أصحاب"، والمضاف إليه "النار" وظيفتها خبر المبتدأ "الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها" الذي يلاحظ أنه ورد جملة اسمية بسيطة (٦٣). وسجل خلوهذه الجملة الواقعة خبراً من الضمير لأن الربط في هذه الجملة الاسمية المركبة جاء باسم الإشارة " أولئك"الذي هو إشارة للبعيد. وقد جاء نيابة عن الضمير. وهو يشير إلى المبتدأ المذكور، ويبين أن هذه الجملة الاسمية ليست مستقلة (٦٤) بنفسها، ويلاحظ أن هذه الجملة قد كشفت عن ضرب من التوكيد في هذا التركيب الإسنادي.

١- ٢- صور الجملة الاسمية المركبة:

أ- صور الجملة الاسمية المركبة المثبتة:

الصورة الأولى:

ونقف عليها في قوله تعالى: (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن)(الطلاق /٤) فالجملة الاسمية المركبة "أجلهن أن يضعن حملهن"(٦٥)مؤدية وظيفة خبر المبتدأ.

الصورة الثانية:

ونقف عليها في قوله تعالى: (قل هو الله أحد)(الإخلاص/١). فالجملة الاسمية المركبة (٦٦) "هو الله أحد" يلاحظ أن المبتدأ فيها ضمير الشأن أو القصة "هو" قد ورد خبره جملة اسمية بسيطة هي " الله أحد"، المؤلفة من المبتدأ " الله"، وخبره "أحد". وهذه الجملة يسجل أنها هي المبتدأ نفسه في المعنى. وبنيتها العميقة الشأن الله أحد.

ولما كان المبتدأ في هذه الجملة الاسمية المركبة ضمير شأن لم يحتج فيها إلى الضمير العائد على هذا المبتدأ، إذ لا رابط أقوى من الرابط المعنوي. فالمخاطب يعرف أن الخبر مسند إلى المسند إليه، وأنه هو نفسه، ذلك أن الخبر هو المخبر عنه في المعنى(٦٧).

ولم يؤت بهذه الجملة لمجرد التفسير كسائر أخبار المبتدآت، وإنما القصد بها تعظيم الأمر وتفخيم الشأن. " فعلى هذا لا بد أن يكون مضمون الجملة المفسرة عظيماً يعتنى به" (٦٨).

ويسجل أن من دواعي تعريف المبتدأ بضمير الشأن هو الوجه البلاغي المتمثل في إيقاظ النفس وحفزها إلى تلقي الجملة (الخبر) التي ستفسر هذا الضمير. والغرض من ذلك إنما هو إعلاء شأن الخبر وتعظيمه.

الصورة الثالثة:

وفيها نجد أن هذه الجملة مقترنة بالفاء. وتستوقفنا عندها الآية الكريمة: (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون)(الروم/١٥). حيث إن الجملة الاسمية المركبة " فهم في روضة يحبرون" المقترن مبتدؤها " فهم" بالفاء مؤدية وظيفة الخبر. وبنيته العميقة " فمحبرون في روضة".

ب- صور الجملة الاسمية المركبة المؤكدة:

الصورة الأولى:

وشاهدها قوله تعالى: (والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي)(العنكبوت/٢٣) إذ إن الجملة الاسمية المركبة "أولئك يئسوا" المؤكدة لورود مبتدئها " أولئك" اسم إشارة مفيداً بذلك مؤدية وظيفة خبر المبتدإ "الذين

كفروا"(٦٩). وبنيتها العميقة المكافئة لها دلالياً هي "مؤكد يأسهم من رحمتي".

الصورة الثانية:

وفيها تكون مثل هذه الجملة مقترنة بالفاء. وتستوقفنا عندها الآية الكريمة: (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين)(الحج/٥٧). ذلك أن الجملة الاسمية المركبة "فأولئك لهم عذاب" مؤدية وظيفة خبر المبتدأ "الذين كفروا". وبنيتها العميقة "فمؤكد وجود عذاب مهين لهم".

ب- صور الجملة الاسمية المنسوخة:

٢- صور الجملة الاسمية البسيطة:

أ- صور الجملة الاسمية البسيطة المثبتة:

صورتها:

نقف عليها في قوله تعالى: (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً)(الجن/١٥). ذلك أن الجملة الاسمية المنسوخة "فكانوا لجهنم حطباً" مؤدية وظيفة خبر المبتدأ "القاسطون".

ب - صور الجملة الاسمية البسيطة المنفية:

الصورة الأولى:

وشاهدها قوله تعالى: (والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح)(النور/ ٦٠). حيث إن الجملة الاسمية المنسوخة " فليس عليهن جناح" مؤدية وظيفة خبر المبتدأ " القواعد".

الصورة الثانية:

وفيها نجد مثل هذه الجملة خبراً لـ "ما" النافية المحمولة على "ليس". ونقف عليها في قوله تعالى: (الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم)(المجادلة/٢). فالجملة الاسمية المنفية "ما هن أمهاتهم" التي قوامها "ما" النافية العاملة عمل "ليس"، واسمها الضمير المنفصل "هن"، وخبرها "أمهات" المضاف إلى الضمير المتصل "هم" مؤدية وظيفة خبر المبتدأ "الذين يظاهرون".

obeikandl.com

الصورة الثالثة:

وفيها تكون مثل هذه الجملة الاسمية البسيطة محولة بالزيادة لغرض تأكيد النفي. ونقف على عينة لها في قوله تعالى: (والظالمون ما لهم من ولي)(الشورى/٨). حيث إن الجملة الاسمية البسيطة" ما لهم من ولي" المؤلفة من حرف النفي "ما" والخبر المحول تحويلاً محلياً وهو "لهم" (٧٠)، وحرف الجر الزائد "من" المفيد التوكيد، و"المبتدأ" "ولي" المؤخر المجرور لفظاً المرفوع محلاً، هذه الجملة مؤدية وظيفة المبتدأ "الظالمون".

الصورة الرابعة:

وفيها تكون هذه الجملة منسوخة بـ "لا" النافية للجنس. ونقف عليها في قوله تعالى: (ذلك الكتاب لا ريب فيه)(البقرة/١). فالجملة "لا ريب فيه" المؤلفة من "لا " النافية للجنس، و"ريب" اسمها المنصوب بها، وخبرها "الجار والمجرور" "فيه" قد أدت وظيفة خبر المبتدأ "ذلك ".

وقد أفادت هذه الجملة الاسمية المنفية أن الريب عن ذلك الكتاب منفي نفياً شاملاً على نحو لا يمكن أن يتسلل فيه أدنى شك إلى ذهن السامع. وبذلك تكون البنية العميقة لهذه الجملة الاسمية المركبة " ذلك الكتاب غير موجود فيه ريب ".

الصورة الخامسة:

وإذا كانت تلك الجملة الواقعة خبراً لـ"لا " النافية للجنس قد ذكر فيها ما يتعلق بالخبر المحذوف، فإننا في قوله تعالى: (اللّه لا إله إلا هو)(النساء/٨٧). نجد أن خبر هذه الجملة الاسمية المنسوخة "لا إله" المؤدية وظيفة خبر المبتدأ "اللّه" محذوف. وبنيته العميقة "لا إله لنا أو في الوجود إلا هو" (٧١). فهي تفيد نفي وجود إله غير اللّه.

الصورة السادسة:

ولما كانت الجملة الإنشائية يمكن أن تؤدي وظيفة الخبر إذا فهم منها ما يفهم من الكلام الخبري، فإن ذلك سوغ أن تكون الجملة التي في قوله تعالى: (قالوا أنتم لا مرحباً بكم)(ص/٦٠). وهي "لا مرحباً بكم" مؤدية وظيفة خبر المبتدأ "أنتم" على الرغم من أنها تفيد الدعاء ومعناها "أنتم غير مرغوب فيكم"، أي "غير مرحب بكم"

جـ- صور الجملة الاسمية البسيطة المؤكدة:

الصورة الأولى:

ونسوق لها الآية الكريمة: (وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله) (التوبة/٣). فالجملة الاسمية "أن الله بريء" المؤلفة من "أن" ومعموليها اسمها "الله"، وخبرها "بريء" وظيفتها خبر المبتدأ "أذان". وبنيتها العميقة تأكيد براءة الله من المشركين.

الصورة الثانية:

وفيها تكون مثل هذه الجملة مؤكدة بمؤكدين. فحين نتأمل قوله تعالى: (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور)(الشورى/٤٣). نلاحظ أن الجملة الاسمية المؤكدة "إن ذلك لمن عزم الأمور" المؤدية وظيفة خبر المبتدأ قد اقترن خبرها باللام المزحلقة المفيدة التوكيد. بنيتها العميقة "لمؤكد وجوده من عزم الأمور" لتكون البنية العميقة للجملة الاسمية المركبة في هذه الآية هي "وللصابر والغافر لمؤكد وجود ذلك من عزم الأمور". ومجيء هذه الجملة مؤكدة جعل خبر الجملة الاسمية المركبة في هذه الآية إنكارياً.

الصورة الثالثة:

وفيها تكون هذه الجملة مؤكدة بالقصر. ونقف عليها في قوله تعالى: (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار)(هود/١٦) إذ إن الجملة الاسمية البسيطة المنسوخة "الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار" المكونة من الموصول الاسمي "الذين"، والفعل الماضي الناسخ "ليس"، وشبه الجملة "لهم" المؤدية وظيفة خبر مقدم، والجار والمجرور في الآخرة (ظرف المكان)، وأداة الحصر "إلا"، واسم "ليس" "النار" المؤخر مؤدية وظيفة خبر المبتدأ " أولئك". وبنيته العميقة " غير الموجود لهم في الآخرة إلا النار".

٢- صور الجملة الاسمية المنسوخة المركبة:

الصورة الأولى:

ونقف عليها في قوله تعالى: (ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون)(المطففين١٧). إذ إن الجملة الاسمية المنسوخة " الذي كنتم به تكذبون " المركبة(٧٢) مؤدية

وظيفة خبر المبتدأ " هذا ". وبينتها العميقة " الكائنون المكذبين به "

الصورة الثانية:

وفيها نجد الموصول الاسمي الرابط هو "ما" وشاهدها قوله تعالى: (ذلك ما كنا نبغي)(الكهف/٦٤). ذلك أن الجملة الاسمية المنسوخة المركبة "ما كنا نبغي" أي "ما كنا نبغيه" مؤدية وظيفة خبر المبتدأ "ذلك". وبنيتها العميقة "الكائنون باغيه".

الصورة الثالثة:

ويكون الناسخ في هذه الجملة المركبة هو "كأن" المخففة. ففي الآية الكريمة: (الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها)(الأعراف/٩٢). نجد الجملة الاسمية المركبة المنسوخة "كأن لم يغنوا" المؤلفة من الحرف الناسخ "كأن" المخففة واسمها (ضمير الشأن المحذوف) الذي بنيته العميقة "هم"، وخبرها "لم يغنوا" الوارد جملة مضارعية منفية بسيطة قد أدت وظيفة خبر المبتدأ. وبنيتها العميقة "كأنهم غير غانين".

obeikandl.com

هوامش وإحالات الفصل الرابع

(١) أي المستبدل والمستبدل عنه. ينظر نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج التطور اللغوي الحديث، ص ٣٧، ٣٨.

(٢) ينظر نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، المكننة الجامعية الأزرابطة، الإسكندرية ٢٠٠١، ص٣١٣. ونهاد الموسى: المرجع نفسه، ص ٤٨.

(٣) ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص ٥٧.

و محمد عيد: المصادر واستعمالاتها في القرآن الكريم، عالم الكتب، بيروت، ١٩٧٩، ٢٦٧/١.

(٤) يقصد بمدخوله الفعل ومرفوعه أو اسم " إن" وخبرها.

(٥) يقصد بمصدر صريح. ينظر ابن الحاجب: الكافية في النحو، ٢ /٣٥.

(٦) ابن الحاجب: المرجع نفسه، ٢ /٣٥.

(٧) محي الدين عبد الحميد: عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، ١ / ١٨٥.

(8) Mosel die syntactic bei Sibawiah, P13.

(٩) ابن يعيش: شرح المفصل، ٦٣/١.

(١٠) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٢٠٠.

(١١) ابن هشام: المرجع نفسه، ٤٠٩/٢.

(١٢) ينظرد. ميشال زكريا: المرجع نفسه، ص٦٧.

(١٣) يقصد الاسم الذي يضارعه ويشابهه أي اسم الفاعل.

(١٤) ينظر مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، المكتبة العربية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ط٣٩، ٢٠٠١، ١٦٨/٢. وينظر محمد طاهر الحمصي: الجملة بين النحو والمعنى، ص٢٩.

(١٥) المقصود بالتحويل هنا التقدير.

(١٦) ينظر سيبويه: الكتاب، ٢٢٨/٤.

(١٧) محمد بن علي الجرجاني: الإشارات والتنبيهات، ص٤٩.

(١٨) عد التركيب الإسنادي "هو الذي أنزل من السماء ماء" جملة اسمية مركبة لأن الخبر فيه ورد جملة وظيفية.

(١٩) يقصد بمعنى فعل يتعدى. فالمنزل الواقع خبراً في البنية العميقة بمعنى فعل معتد يطلب مفعولاً به.

(٢٠) كأين لا يكون خبرها إلا جملة. ينظر ابن هشام: المغني، ص٢٠٤.

(٢١) ينظر عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص١٠٦.

و ينظر صالح خديش: (مفهوم التحويل وأنواعه في العربية) مجلة الآداب، معهد اللغة العربية

obeikandl.com

وآدابها، جامعة قسنطينة، العدد ٤، ١٩٩٧، ص ١٩٨.

(22) Martinet André: Syntaxe gènèrale,P150.

(٢٣) سيبويه: الكتاب، ٨١/١.

(٢٤) سيبويه: المرجع نفسه، ٨١/١.

(٢٥) سيبويه: المرجع نفسه، ٨١/١.

(٢٦) ينظر صالح خديش: (مفهوم التحويل وأنواعه في العربية)، مجلة الآداب، جامعة قسنطينة، ص١٩٩.

(٢٧) سميناها جملة اسمية مركبة وأساس ذلك أن خبرها ورد جملة ولم يرد مفرداً.

(٢٨) ينظر مهدي المخزومي: في النحو العربي قواعد وتطبيق، ص ٢٣.

(٢٩) المبتدأ "هم " هو فاعل محول بالتقديم.

(٣٠) محمد بن علي الجرجاني: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق د. عبد القادر حسين، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت، ص٤٩.

(٣١) ينظرد. محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، ص ١٠٩.

(٣٢) ينظر ابن يعيش: شرح المفصل ١، /٨٧.

(٣٣) ينظر سيبويه: الكتاب، ١/ ٧٠، ٧٢، وينظرد. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص١٢٥.

(٣٤) محمد الطاهر الحمصي: الجملة بين النحو والمعنى، ص ٤٥.

(٣٥) ينظر د سناء حميد البياتي: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، ص ٩٣.

(٣٦) المضاف إليه محذوف.

(٣٧) وكان القياس أن تكون الجملة الفعلية "يسبحون" يسبح، ويبقى كلام الله معجزاً لا تنقضي عجائبه.

(٣٨) ينظر د محمد محمد أبو موسى: دلالة التراكيب، ص ١٨٠.

(٣٩) لأن كلمة " قطمير" مؤدية وظيفة المفعول به. فهي مجرورة لفظاً بحرف الجر الزائد "من".

(٤٠) كأين بمعنى " كم" وهي بمنزلة "كم" الخبرية. وهي من كنايات العدد.

(٤١) الذي يلاحظ أنه ورد جملة اسمية بهذه الصورة لزيادة التقرير. ينظر خالد الأزهري: شرح التصريح على التوضيح، ٣/ ١٥٢.

(٤٢) الزمخشري: الكشاف، ١/ ٢٤٨.

(٤٣) ينظر د. عبد الواحد حسن الشيخ: دراسات في علم المعاني، ص ١٥٥.

(٤٤) ينظرد. محمد محمد أبو موسى: دلالة التراكيب، ص ١٨٠.

(٤٥) هذه الجملة الاسمية المركبة " آيتك ألا تكلم الناس " وظيفتها مقول القول.

(٤٦) الخرص: هي التخمين والظن. ينظرد. محمد محمد أبو موسى: دلالة التراكيب، ص ٦٠، ٦١.

(٤٧) "إن" حرف نفي بمعنى "ما".

و إلا: أداة حصر بمعنى ما، ينظر الشريف نصار: معاني الحروف في القرآن الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤، ص ٣١.

(٤٨) وبنيته العميقة " ليؤمنونن" أعل بأن حذفت واوه تجنباً لالتقاء الساكنين. ينظر بومعزة رابح: صور الإعلال والإبدال في المشتقات الأحد عشر والمصادر،.

(٤٩) ينظر د سناء حميد البياتي: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، ص ٥٤.

(٥٠) ينظرد. محمد محمد أبو موسى: دلالة التراكيب، ص ٨٨.

(٥١) عدت مركبة لأن المفعول به فيها " ما في قلوبهم" ورد جملة مضارعية بسيطة.

(٥٢) عدت مركبة لأن المفعول به لفعلها المضارع المنفي "أن يطهر قلوبهم" ورد جملة مضارعية.

(٥٣) فالوصف "عابد" جاء منوناً فعمل عمل فعله "أعبد" والوصف "عابدون" لما جاء جمع مذكر سالما نكرة غير مضاف عمل أيضاً عمل فعله "تعبدون". ينظر د سناء حميد البياتي: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، ص ٩٢.

(٥٤) ينظر الاستراباذي: شرح الكافية، ١/ ٩١.

(٥٥) ينظر د. عبد الواحد حسن الشيخ: دراسات في علم المعاني، ص ١٦٨، ١٦٩.

(٥٦) الجملة الاسمية المركبة هي " واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر" سميت مركبة لأن كلاً من المبتدأ والخبر فيها قد ورد جملة.

(٥٧) المبتدأ " الذين كفروا" وقع جملة اسمية بنيتها العميقة " الكافرون".

(٥٨) ينظر: الأخفش: معاني القرآن، ١/ ٨٨ ٣.

(٥٩) ينظر الفراء: معاني القرآن ٣، /١٥٥، ١٥٦.

(٦٠) ينظر الزمخشري: الكشاف، ٣/ ٤٩٨.

(٦١) ينظر عبد القهار الجرجاني: دلائل الإنجاز، ص ١٢٥.

(٦٢) ينظر أبو علي الفارسي: المسائل العسكريات، ص ٢٤٩، ٢٥٠.

(٦٣) " الذين كذبوا بآياتنا "جملتان معطوفتان على بعضهما. بنيتاهما العميقتان " المكذبون بآياتنا والمستكبرون عنها.

(٦٤) ينظر د. محمد حماسة عبد الطيف: بناء الجملة العربية، ص١١١.

(٦٥) عدت مركبة لأن خبرها " أن يضعن حملهن" ورد جملة مضارعية بسيطة. بنيتها العميقة "وضعهن حملهن".

(٦٦) ينظر محمد العيد رتيمة: الأنماط النحوية للجملة الاسمية في العربية، ص ١٤٢.

(٦٧) ينظر د. سناء حميد البياتي: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، ص١٧١.

(٦٨) الاستراباذي: شرح الكافية، ٢/٢٧.

(٦٩) "الذين كفروا" جملة ماضوية بسيطة مؤدية وظيفة المبتدأ. بنيتها العميقة "الكافرون".

(٧٠) "لهم" خبر تقدم على نية التأخير وعد التحويل فيه تحويلاً محلياً لا جذرياً لأن الجملة بقيت معه اسمية.

(٧١) ينظر السيوطي: همع الهوامع، ١، ١٤٦، ٣٢٣.

و ينظر محمد الطاهر الحمصي: الجملة بين النحو والمعنى، ص ٣٠٨.

(٧٢) عدت مركبة لأن خبر كان ورد جملة مضارعية بسيطة "تكذبون" بنيتها العميقة "مكذبين".

obeikandl.com